المحور الثالث

الفقه وأصوله
(فقه السلوك والأخلاق)

٧٨

النيَّة والإخلاص

الإمـام يوسف القرضاوي

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۞ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوَّة الخاتمة

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّما الأعمال بالنيَّـات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى دنيا يُصيبها، أو إلى امرأةٍ يَنْكِحُها، فهِجْرَته إلى ما هاجر إليه**». متفق عليه.

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسـادكم، ولا إلى صُوَركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**». وأشار بأصابعه إلى صدره. رواه مسلم.

عن أبي أُمامة الباهلي قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: أرأيتَ رجـلًا غزا يلتمس الأجـرَ والذِّكْر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيءَ له**». فأعادها ثلاث مرَّات، يقول له رسول الله ﷺ: «**لا شيءَ له**». ثم قال: «**إنَّ الله لا يقبل من العمل إلَّا ما كان له خالصًا، وابتُغِيَ به وجهُه**». رواه النسائي.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، لا نبغي غيره ربًّا، ولا نتخذ غيره وليًّا، ولا نبتغي غيره حكمًا، ولا نشرك به ولا معه أحدًا ولا شيئًا، لا إله إلَّا الله ولا نعبد إلَّا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

وأزكى صلوات الله وتسليماته على سيدنا وإمامنا، وأُسوتنا وحبيبنا محمد، الذي كانت صلاته ونُسُكه ومحياه ومماته لله ربِّ العالمين، لا شريك له، كان كلُّه لله، إذا تكلم فللَّه، وإذا صمت فللَّه، إذا غضب فللَّه، وإذا رضى فللَّه، إذا أحبَّ فللَّه، وإذا أبغض فللَّه، إذا أعطى أو منع أو سالَم أو حارَبَ فللَّه، ولا شيء غير الله، وقد علَّمنا أن ندعو الله فنقول: «**اللهمَّ إنَّا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**»[1].

(١) رواه أحمد (١٩٦٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في التعوُّذ من الشرك (٣٠١٦٣)، والطبراني في الأوسط (٣٤٧٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٦٠): رواه أحمد والطبراني، ورواته إلى أبي علي محتجٌّ بهم في الصحيح، وأبو علي وثَّقه ابن حِبَّان، ولم أرَ أحدًا جرحه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٧٤): رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثَّقه ابن حِبَّان. عن أبي موسى الأشعري.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ورضي الله عن أصحابه، الذيــن أخلصوا دينهم لله، وأخلصهم الله لدينه، فهاجروا لله، وآووا ونصروا لله، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وكان الله ورسوله، والجهاد في سبيله أحبَّ إليهم من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشــيرتهم وأموال اقترفوها، وتجارة يخشــون كسادها، ومساكن وأوطان يرضونها، ورضي الله عمَّن سار على دربهم إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فهذه الصحائف التي أقدمها لك ـ أخي المســلم ـ تتحدَّث عن شُعْبة أساسية من أرفع شُعَب الإيمان، وعن مقام من أعظم مقامات الدِّين، وخُلُق من أجَــلِّ أخلاق الربانيين، هــو «الإخــلاص» الذي لا يقبل الله عملًا إلَّا به، فبغيره لا يكون العمل مَرْضِيًّا عند الله تعالى، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وإنَّما يرضى الله العمــل الصالح في ذاتــه إذا تحقَّق فيه الإخلاص، وانتفى منه الشِّرك أكبره وأصغره، جليه وخفيه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

ولا يتم الإخلاص إلَّا بتوافر النِّيَّة الصادقة، وتجريدها لله، وتخليصها من الشَّــوائب والرغبات الذاتية والدنيوية، ومعنى هذا: أن يَفْنى الإنسان عن حظوظ نفســه، ويتعلَّق بربِّه، فيمنحه القوة من الضعف، والأمن من الخوف، والغنى من الفقر.

QaradawiBooks.com

وأرجو أن تجد أخي المسلم في هذه الصحائف ما يُعينك على جهاد نفسك، ومقاومة شهواتها الخفيَّة، وهي أشد خطرًا من الشَّهوات الظَّاهرة، حتَّى تُخلص لله، وتكون كلك لله: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢].

اللهمَّ اجعلْنا من الذين إذا علموا عملوا، وإذا عملوا أخلصوا، وإذا أخلصوا قُبِلوا عندك يا رب العالمين. اللهمَّ آمين.

الفقير إلى الله تعالى

يوسف القرضاوي

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

النِّيَّة والإخلاص

الفصل الأول: معنى الإخلاص وضرورته للسالكين إلى الله.
الفصل الثاني: أهمية النِّيَّة في تحقيق الإخلاص.
الفصل الثالث: فضل الإخلاص وخطر الرِّياء.
الفصل الرابع: حقيقة الإخلاص.
الفصل الخامس: من دلائل الإخلاص.
الفصل السادس: الطَّاعة والمعصية بين الكتمان والإظهار.
الفصل السابع: ضرورة الإخلاص لحملة الدَّعوة.
الفصل الثامن: من ثمرات الإخلاص.
الفصل التاسع: من بواعث الإخلاص.

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفصل الأول

معنى الإخلاص وضرورته للسَّالكين إلى الله

الإخلاص: عملٌ من أعمال القلوب، بل هو في مقدِّمة الأعمال القلبيَّة؛ لأنَّ قبول الأعمال لا يتمُّ إلَّا به.

والمقصود بالإخلاص: إرادة وجه الله تعالى بالعمل، وتصفيته من كلِّ شَوْب ذاتيٍّ أو دنيويٍّ، فلا ينبعث للعمل إلَّا لله تعالى والدار الآخرة، ولا يمازج عمله ما يشُوبه من الرغبات العاجلة للنفس، الظاهرة أو الخفيَّة، من إرادة مغنمٍ، أو شهوةٍ، أو منصبٍ، أو مالٍ، أو شهرةٍ، أو منزلةٍ في قلوب الخَلْق، أو طلبِ مَدْحِهم، أو الهرب من ذمِّهم، أو إرضاءٍ لعامة، أو مجاملةٍ لخاصَّة، أو شفاءٍ لحقدٍ كامن، أو استجابةٍ لحسدٍ خفيٍّ، أو لكبرٍ مستكِنٍّ، أو لغير ذلك من العلل والأهواء والشوائب، التي عقْدُ مُتَفَرِّقاتها هو: إرادة ما سوى الله تعالى بالعمل، كائنًا من كان، وكائنًا ما كان.

وأساس إخلاص العمل: تجريد «النِّيَّة» فيه لله تعالى.

والمراد بالنِّيَّة: انبعاث إرادة الإنسان لتحقيق غرضٍ مطلوبٍ له.

فالغرض الباعث هو: المحرِّك للإرادة الإنسانية لتندفع للعمل، والأغراض الباعثة كثيرة ومتنوِّعة: منها الماديُّ والمعنويُّ، ومنها الفرديُّ والاجتماعيُّ، ومنها الدنيويُّ والأخرويُّ، ومنها التافه الحقير، والعظيم

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الخطير، منها ما يتعلَّق بشهوة البطن والجنس، ومنها ما يتَّصل بلذَّة العقل والرُّوح، منها ما هو محظور، ومنها ما هو مباح، ومنها ما هو مُستحَبٌّ، ومنها ما هو واجب.

وإنَّما يحـدِّد هذه البواعث: عقائد الإنسـان وقيمه التـي يؤمن بها، ومعارفه وأفكاره ومفاهيمه التي كوَّنها بالدراسـة أو بالتجربة، أو بتأثير البيئة، وبالتقليد للآخرين.

والمؤمنُ الحقُّ هو الذي غلب باعثُ الديـن في قلبه باعثَ الهوى، وانتصرت حوافزُ الآخرة على حوافـز الدنيا، وآثر ما عند الله تعالى على ما عند النَّاس، فجعل نِيَّتَه وقولَه وعملَه لله، وجعل صلاتَه ونُسُكَه ومَحياه ومماته لله ربِّ العالَمين، وهذا هو الإخلاص.

الإخلاص من ثمرات التوحيد الخالص:

والإخلاص بهـذا المعنى: ثمرة مـن ثمراتُ «التوحيـد» الكامل لله تعالى، الذي هو إفراد الله تعالى بالعبادة والاستعانة، والذي يعبِّر عنه قولُه سـبحانه في فاتحة الكتاب وأمِّ القرآن: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، والذي يناجي به المسلم ربَّه في صلواته كلَّ يومٍ ما لا يقلُّ عن سبعَ عشْرةَ مرَّة.

وبهذا الإخلاص: يكون الإنسـان المؤمن عَبْدَ الله حقًّا، لا عبدَ هواه ولا أهواءِ غيره، لا عبدَ دنياه ولا دنيا سواه.

بهذا الإخلاص المتجرِّد: يتخلص مـن كلِّ رقٍّ، ويتحرَّر من كلِّ عبودية لغير الله: عبوديَّة الدينار والدرهم، والمـرأة والكأس، والزِّينة والمظهر، والجاه والمنصب، وسـلطانِ الغريزة والعـادة، وكلِّ ألوان

QaradawiBooks.com

العبودية للدنيا التي استسلم لها النَّاس. ويكون كما أمر الله رسولَه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ضرورة الإخلاص للسالكين:

وقد أجمع الربَّانيون ـ من رجال التربية الروحية، وأهل الطَّريق إلى الله ـ على أهمية الإخلاص وضرورته لكلِّ عملٍ من أعمال الآخرة، وكلِّ سالك للطريق.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي في مقدمة كتاب «النِّيَّة والإخلاص والصدق» من ربع المنجيات من «الإحياء»: «قد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن: أن لا وصولَ إلى السَّعادة إلَّا بالعلم والعبادة، فالنَّاس كلُّهم هَلْكى إلَّا العالِمون، والعالِمون كلُّهم هَلْكى إلَّا العامِلون، والعاملون كلُّهم هَلْكى إلَّا المخلِصون[1]، والمخلصون على خطر عظيم، فالعمل بغير نيَّة عناء، والنيَّة بغير إخلاص رياء، وهو للنِّفاق كِفَاء، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدقٍ وتحقيقٍ هَبَاء، وقد قال الله تعالى في كلِّ عملٍ كان بإرادة غير الله مشوبًا مغمورًا: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]»[2].

---

(١) هكذا ذكرها الغزالي بالرفع، مع أن القاعدة أن تكون منصوبة، لأن المستثنى منه تام موجب، وذكرها بعضهم على أنَّها حديث مرفوع، وقال الصغاني: حديث مفترى ملحون، ونقل السيوطي في النكت عن أبي حيان: أن الإبدال في الاستثناء الموجب لغة لبعض العرب، وخرَّج عليها قوله تعالى في إحدى القراءات: ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وعليه فـ «العالمون» وما بعده بدل مما قبله. انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني (٣١٢/٢)، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١هـ.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٣٦٢/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

وما قاله الغزاليُّ سبق بنحوه العارف الربَّاني سهل بن عبد الله التُسْتَرِي، حيث قال: النَّاس كلُّهم سكارى إلَّا العلماء، والعلماء كلُّهم حيارى إلَّا من عمل بعلمه.

وفي لفظ آخر قال: الدُّنيا جهلٌ وموت، إلَّا العلم، والعلم كلُّه حجة (أي على صاحبه) إلَّا العمل به، والعمل كله هباء، إلَّا الإخلاص، والإخلاص على خطر عظيم حتَّى يُختَم به[١].

وقال بعضهم: العلم بذر، والعمل زرع، وماؤه الإخلاص[٢].

وقال ابن عطاء الله في «حِكَمه» عن الله سبحانه: كما لا يحبُّ العملَ المشترَك، كذلك لا يحبُّ القلبَ المشترَك، فالعمل المشترَك لا يقبلُه، والقلب المشترَك هو لا يُقبل عليه[٣].

إنَّ العمل الذي لا يصحبه الإخلاص صورةٌ بلا حياة، وجثَّة بلا رُوح، والله تعالى إنَّما يريد من الأعمال حقائقَها لا رسومَها وصورَها، ولهذا يردُّ كلَّ عمل مغشوشٍ على صاحبه، كما يردُّ الصَّيْرَفِيُّ الناقدُ العملةَ الزائفة.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو هُرَيْرة، عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظرُ إلى أجسادكم وصُوَركم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم**»، وأشار بأصابعه إلى قلبه وقال: «**التَّقوى هاهنا**». وأشار إلى صدره ثلاثَ مرَّات[٤].

---

(١) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل صـ ٢١، ٢٢، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٧هـ.

(٢) إحياء علوم الدين (٣٧٨/٤).

(٣) انظر: حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زرُّوق صـ ٢٣٣، تحقيق د. عبد الحليم محمود، نشر مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

وقال الله تعالى في شأن قرابين الهَدْي والأضاحي التي يقدِّمها الحجَّاج والمعتمِرون: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧].

الإخلاص مطلوبٌ لصلاح الحياة:

وليس تشديد الإسلام في طلب الإخلاص، وتأكيده على تجريد النِّيَّة لله، وتصحيح الاتجاه إليه وحده: ضربًا من التزمُّت أو العبث، فإنَّ الحياة نفسَها لا تستقيم ولا ترتقي إلَّا بالمخلِصين، وأكثر ما يصيب الأُمم والجماعات من النكبات والكوارث القاصمة إنَّما يجرُّه عليها أناسٌ لا يرجون الله والدارة الآخرة؛ أُناس من عبيد الدنيا، وعُشَّاق الثروة، الذين لا يبالون في سبيل دنياهم وشهوات أنفسهم أن يدمِّروا دنيا الآخرين ودينهم معًا، وأن يحوِّلوا الأبنية إلى خرائب، والمنازل إلى مقابر، والحياة إلى موت.

أو أُناسٌ من طُلَّاب الزعامة والسُّلْطة، وعبيد الشُّهرة والجاه، وعُشَّاق المجد الشَّخصيِّ، والبطولة بغير الحقِّ، إنَّهم في سبيل الحصول على المجد والسلطان، أو في سبيل الحفاظ على ما أدركوا منه، لا يبالون أن يخربوا ديارًا، ويدمِّروا أُمَّة بل أُممًا بأسرها، لا لشيء إلَّا لتصفِّق لهم الأيدي، وتهتف لهم الحناجر، وتنطلق بإطرائهم الأقلام، وتُسبِّح بحمدهم الجماهير المسكينة المخدوعة، ويدوم لهم الاستمتاع بكراسيِّ الحُكْم الوثيرة! وشعار كلٍّ منهم: أنا أو يخرب العالَم من بعدي!!

إنَّ الإسلام لا يرضى للمسلم أن يعيش بوجهين: وجه لله، ووجه لشركائه، ولا أن تنقسم حياته إلى شَطْرين: شطر لله، وشطر للطاغوت.

QaradawiBooks.com

الإســـلام يرفض الثنائيَّة المقيتة، والازدواجية البغيضة، التي نشهدها في حياة المســـلمين اليوم، فنجد الرجل مســـلمًا في المســـجد أو في شهر رمضان، ثمَّ هو في حياته، أو في معاملاته، أو في مواقفه إنسان آخر. إن الإخلاص هو الذي يوحِّد حياة المسلم، ويجعلها كلَّها لله، كما يجعله كلَّه لله، فصلاتُه ونُسُكه ومحياه ومماته لله ربِّ العالمين.

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطبع

الفصل الثاني

أهمية النِّيَّة في تحقيق الإخلاص

استحضار النِّيَّة وتجريدها لله:

لا يتحقَّق الإخلاص في العمل إلَّا بعنصرين أساسيين:

الأوَّل: استحضار النِّيَّة فيه، فإنَّما الأعمال بالنيَّات، ومَن أدَّى العمل أداءً آليًّا، بغير نيَّة طيبة أو خبيثة، لم يدخل في زُمرة المخلصين.

والثاني: تجريدها من الشَّوائب الذَّاتيَّة والدنيويَّة، حتَّى تَخْلُص لله سبحانه.

أهمية النِّيَّة في القرآن الكريم:

والقرآن يُعبِّر عن هذه النِّيَّة المشروطة بعبارات مختلفة مثل: إرادة الآخرة، أو إرادة وجه الله، أو ابتغاء وجهه، أو ابتغاء مرضاته.

يقول تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

﴿ مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

فهؤلاء هم عبيد الدنيا، الذين جعلوا لها كلَّ إرادتِهم وسعيهم.

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

قسمت الآيتان النَّاس إلى قسمين: مريد العاجلة، وهي الدنيا، بمعنى أنَّه ليس له هدف سواها، ومصيره ما ذكرت الآية: جهنم، ومريد الآخرة، الذي جعلها هدفه، وسعى لها سعيها، فمصيره ما ذكرت الآية.

الجزاء ـ إذن ـ مرتَّب على «الإرادة» و«المراد»، فخبِّرني ما مرادك وقصدُك، أُخْبِرك ما مصيرك وجزاؤك!

وهذا المعنى تكرَّر في القرآن: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠].

﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۞ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ١٧ ـ ٢٠].

QaradawiBooks.com

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

وأودَّ أن أنبِّه هنا: أنَّه لا تعارض بين إرادة الله تعالى وإرادة الآخرة، بل لا ثنائيَّة، فلا معنى لتعليقِ من علَّق على قوله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. بقوله: فأين من يريد الله؟ لأنَّ الذين يريدون الآخرةَ ما أرادوا إلَّا الله، فإرادة الآخرة تعني: إرادة مثوبته ورضوانه، ورجاء ما عنده سبحانه.

ولا يُعاب المُخلِص بأنَّه يرجو الجنَّة ويخاف النَّار، فقد وصف القرآن الأنبياء والصالحين بالرجاء والخوف، والرغَب والرَّهَب، وليس بعد القرآن بيان[1].

والجنة ليست دارَ النَّعيم الحِسِّيِّ فحسْب، بل هي دار الرضوان الأكبر، والتنعُّم بالنظر إلى وجه الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. فأمَّا الكفَّار فإنَّهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبون؛ وهذا الحجاب هو أقسى العذاب.

(١) وضَّحنا هذه القضية بأدلتها في كتابنا: العبادة في الإسلام صـ ١٠٩ ـ ١١٥، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٩، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ومقدمة كتابنا: المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري (١/٣٦ ـ ٤٢)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أهمية النِّيَّة في السُّنَّة:

أمَّا السُّنَّة فقد ورد فيها الكثير في فضل النِّيَّة والإخلاص، أذكر منها بعض ما انتقيتُه ممَّا ذكره الإمام المنذري في كتابه «التَّرغيب والتَّرهيب»، وأودعتُه كتابي «المنتقى من التَّرغيب والتَّرهيب»، وقد بدأها وبدأ كتابه كلَّه بحديث الثلاثة أصحاب الغَار، وهو حديث متَّفَق عليه، وسأذكره بعدُ، عند الحديث عن ثمرات الإخلاص.

وثنَّى بحديث أبي أُمامة فيمن سأل عمَّن غزا يلتمس الأجر والذكر (أي الأجر من الله والذكر عند النَّاس) وأجاب النبي ﷺ ثلاث مرات: «**لا شيءَ له**»! ثمَّ قال: «**إنَّ الله لا يقبل من العمل إلَّا ما كان خالصًا، وابتُغي به وجهه**»[(١)].

ثم ثلَّث بحديث عمر المشهور: «**إنَّما الأعمال بالنيَّة** ـ وفي رواية: بالنيَّات ـ **وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمَن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله، فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومَن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يَنْكِحُهَا فَهِجرَتُهُ إلى ما هاجر إليه**»[(٢)].

---

(١) رواه النَّسائي في الجهاد (٣١٤٠)، وجوَّد إسناده ابن حجر في فتح الباري (٢٨/٦)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (٨١/١)، وحسَّن إسناده الألباني في الصحيحة (٥٢)، عن أبي أمامة الباهلي.

(٢) الحديث من أصول السُّنَّة بل من أصول الإسلام، حتى قال بعض السَّلَف: هو ربع الإسلام. وقال آخر: بل ثلث الإسلام. وقال الشافعي: يدخل في سبعين بابًا من العلم. ولا ريب أنَّ النيَّة شرط لقبول العبادات، كما أنَّها تُحوِّل العادات والمباحات إلى طاعات وقربات، كما دلَّت على ذلك أحاديث كثيرة. ولكن المعاصي والمحرَّمات لا تؤثر فيها النيَّة، فمن أكل الربا ليبني مسجدًا، رُدَّ عليه، ولا أثر لنيَّته؛ فإن الله طيِّب لا يقبل إلا طيِّبًا. والحديث متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يغزو جيشٌ الكعبة، فإذا كانوا ببَيْدَاءَ من الأرض يُخْسَفُ بأوَّلهم وآخِرهم**». قالت: قلتُ: يا رسول الله، كيف يُخْسَفُ بأوَّلهم وآخِرهم وفيهم أسواقهم[١]، ومن ليس منهم؟ قال: «**يُخْسَفُ بأوَّلِهم وآخرهم، ثمَّ يُبْعثون على نيَّاتهم**»[٢].

وعن أبي هُرَيْرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما يُبعَث النَّاسُ على نيَّاتهم**»[٣]، ورواه أيضًا من حديث جابر إلَّا أنَّه قال: «**يُحشَرُ النَّاس**»[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رجعنا من غزوة تبوك مع النبي ﷺ فقال: «**إنَّ أقوامًا خَلْفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلَّا وهم معنا، حبسهم العذرُ**»[٥]. رواه البخاري، وأبو داود[٦]، ولفظه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقةٍ، ولا قطعتم من وادٍ، إلَّا وهُمْ معكم**». قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: «**حبسهم المرضُ**».

---

(١) أسواقهم: إن كان جمع سوق، فالمراد به أهلها، وإن كان جمع سُوقة ـ وهم الرعية ـ فظاهر. كما في مجمع بحار الأنوار لمحمد الصديقي الفَتَّنِي (١٥٠/٣)، نشر مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ٣، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م. والمراد بهم: الضعفاء والأُسارى ونحوهم ممن لا نيَّة له في الغزو والتخريب.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١١٨)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٤).

(٣) رواه أحمد (٩٠٩٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٩).

(٤) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٣٠)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٠٨).

(٥) من هؤلاء: الذين لم يكن لديهم ركائب تنقلهم إلى تبوك، ولا أموال يشترون بها ركائب، وهم الذين ذكرهم القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

(٦) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٣٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٥٠٨).

QaradawiBooks.com

وعن أبي هُرَيْرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا ينظرُ إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[١].

وعن أبي كَبْشَة الأنماريِّ رضي الله عنه، أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**ثلاث أُقسِمُ عليهنَّ وأُحدِّثكم حديثًا فاحفظوه**». **قال: «ما نقص مال عبدٍ من صدقة، ولا ظُلِمَ عبدٌ مَظْلمة صبر عليها إلَّا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلَّا فتح اللهُ عليه بابَ فَقْر**». أو كلمة نحوها. «**وأحدِّثكم حديثًا فاحفظوه**» **قال: «إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفر: عبدٌ رزقه الله مالًا وعلمًا**[٢]**، فهو يتَّقي فيه ربَّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٌ رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا، فهو صادق النيَّة**[٣] **يقول: لو أنَّ لي مالاً لعملتُ بعمل فلانٍ، فهو بنيَّتِه، فأجرُهما سواءٌ، وعبدٌ رزقه الله مالًا، ولم يرزقه عِلمًا، يَخْبِط في ماله بغير علم، ولا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يَصِلُ فيه رَحِمَه، ولا يعلم لله فيه حقًّا، فهذا بأخبث المنازل؛ وعبدٌ لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا، فهو يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملتُ فيه بعمل فلانٍ، فهو بنيَّته، فوزرُهما سواء**»[٤].

وعن أبي هُرَيْرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتَّى يعملَها، فإنْ عملها**

---

(١) لهذا كانت أعمال القلوب هي الأساس في الدين أمرًا ونهيًا، فأفضل العبادات عبادات القلوب، وأخطر المعاصي معاصي القلوب، هي المهلكات. والحديث سبق تخريجه صـ١٦.

(٢) المراد بالعلم هنا: البصيرة والمعرفة الراسخة التي تنير لصاحبها الطريق، وهو يدلنا على أهمية المعرفة في السلوك الأخلاقي، فلا فضيلة بلا معرفة، كما أن لا عبادة بلا علم.

(٣) صدق النية يدلُّ على أنَّ الأمر ليس مجرد خاطرة تمرُّ بالبال ثم تنطفئ الشرارة، بل هي خطٌّ نفسي عميق، يجعل صاحبه يعيش بهذا الأمر، حالمًا به، حريصًا عليه، راغبًا فيه، لهذا استوى في الأجر هو وصاحب العمل.

(٤) رواه أحمد (١٨٠٣١)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٣٥).

QaradawiBooks.com

فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها اكتبوها له حسنة؛ فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، إلى سبعمائة»[(١)].

وفي رواية لمسلم قال: عن محمَّد رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: إذا تحدَّث عبدي بأن يعمل حسنة، فأنا أكتبها له حسنةً، ما لم يعملها، فإذا عملها، فأنا أكتبها له بعشر أمثالها، وإذا تحدَّث عبدي بأن يعمل سيئةً، فأنا أغفرها له، ما لم يعملها، فإذا عملها، فأنا أكتبها له بمثلها، وإنْ تركها، فاكتبوها له حسنة، إنَّما تركها من جرَّاي**»[(٢)].

قوله: «من جرَّاي» ـ بفتح الجيم وتشديد الراء ـ: أي من أجلي.

وعن مَعْن بن يزيد رضي الله عنهما قال: كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدَّق بها، فوضعها عند رجلٍ في المسجد، فجئتُ فأخذتها، فأتيته بها، فقال: والله ما إيَّاك أردتُ. فخاصمته إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقال: «**لك ما نويتَ يا يزيد، ولك ما أخذتَ يا مَعْن**»[(٣)].

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل: لأتصدَّقنَّ الليلةَ بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ الليلةَ على سارق. فقال: اللهمَّ لك الحمد، على سارق! لأتصدَّقَنَّ بصدقة. فخرج بصدقته، فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصِدِّق الليلةَ على زانية. فقال: اللهمَّ لك الحمد، على زانية! لأتصدَّقنَّ بصدقة. فخرج بصدقته، فوضعها في يد غنيٍّ، فأصبحوا يتحدَّثون:**

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٠١)، ومسلم في الإيمان (١٢٨).
(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٢٩).
(٣) رواه في الزكاة (١٤٢٢).

QaradawiBooks.com

تُصُدِّق الليلة على غنيٍّ. فقال: اللهمَّ لك الحمد، على سارق وزانية وغني! فأُتِيَ ـ أي في المنام ـ **فقيل له: أمَّا صدقتُك على سارق، فلعلَّه أن يستعفَّ عن سرقته، وأمَّا الزانية، فلعلَّها أن تستعفَّ من زناها، وأمَّا الغنيُّ فلعلَّه أن يعتبر، فينفق ممَّا أعطاه الله**». رواه البخاري واللفظ له، ومسلم والنَّسائي[(١)]، وقالا فيه: «**أما صدقتُك فقد تُقُبِّلَت**» ثمَّ ذكر الحديث.

دلَّت هذه الأحاديث الوفيرة وغيرها ـ مع ما جاء في كتاب الله ـ على قيمة النِّيَّة وأهميتها في الدين، وأنَّ رُوح العمل هي «النيَّة»، ولكن ما هي النِّيَّة التي رتَّبت عليها الأحاديث كلَّ هذه الفضائل؟

حقيقة النيَّة:

قال الجوهري في «الصحاح»: النِّيَّة: العزم[(٢)].

وقال الخطَّابي: هي قصدُك الشَّيءَ بقلبك، وتحرِّي الطلبِ منكَ له[(٣)].

وقال البَيْضَاوي: هي انبعاثُ القلب نحوَ ما يراه موافقًا لغرضٍ: من جلب نفعٍ، أو دفع ضرٍّ، حالًا أو مآلًا.

قال: والشرع خصَّها بالإرادة المتوجِّهة نحو الفعل، ابتغاءً لوجه الله تعالى، وامتثالًا لحُكْمه[(٤)].

---

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢)، كما رواه النَّسائي (٢٥٢٣)، ثلاثتهم في الزكاة.

(٢) الصحاح (٢٥١٦/٦)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) أعلام الحديث للخطابي (١١٢/١)، تحقيق د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، نشر جامعة أم القرى، السعودية، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م

(٤) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (١٩/١، ٢٠)، تحقيق لجنة بإشراف نور الدين طالب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وقال العراقي في «شرح التقريب»: اختُلِف في حقيقة النيَّة، فقيل: هي الطلب، وقيل: الجِـدُّ في الطلب، ومنه قول ابن مسـعود: من يَنْوِ الدُّنيا تُعجِزْه. أي من يَجِدّ في طلبها[١].

وقال الزَّرْكشي في «قواعده»: حقيقة النِّيَّة ربطُ القصد بمقصود معيَّن، والمشهور: أنَّها مُطلَقُ القصدِ إلى الفعل[٢].

وقال الماوردي: النِّيَّة قصدُ الشَّيء مقترنًا بفعله، فإن قصده وتراخى عنه فهو عزم[٣].

النيَّة إرادة جازمة:

ولا ريب أنَّ النِّيَّة التي صحَّت بها الأحاديث النبوية، التي سقنا عددًا منها، وترتَّب عليها الجزاء ثوابًا وعقابًـا ـ وإن لم يقترن بها عمل ـ إنَّما تتمثَّل في الإرادة الجازمة المصمِّمـة المتوجِّهة نحو الفعل، خيرًا كان أم شرًّا، واجبًا أو مستحِبًّا، أو محظورًا، أو مكروهًا، أو مباحًا، ولهذا تكون أحيانًا نيَّة صالحة محمودة، وأحيانًا نيَّة سيئة مذمومة، حَسَب المَنْوِيِّ: أي شيء هو؟ وحسَب المحرِّك الباعث: أهو الدُّنيا أم الآخرة؟ أهو وجه الله أم وجوه النَّاس؟

وليسـت النِّيَّة ـ إذن ـ مجرَّد خاطرة تطرأ علـى القلب لحظة، ثمَّ لا تلبث أن تزول، فلا ثبات لها، يقول ﷺ: «**إنَّ الله عفا عن أُمَّتي ما حدَّثت**

(١) طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي (٧/٢)، نشر دار إحياء التراث العربي.

(٢) المنثور في القواعد الفقهية للزركشي (٢٨٤/٣)، نشر وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) انظر: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزَّبِيدي (٣٦/١٠، ٣٧) نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

بها أنفسُـــها، ما لم تعمل به، أو تتكلَّم به»[١]، وهذا يؤيِّد ما قاله بعضُهم من أن النِّيَّة ليست مجرد الطلب، بل الجِدُّ في الطلب.

وعلى هذا الأساس رأينا في الحديث الفقيرَ الذي لا مال له، يُحصِّل ببصيرته، وصدق نيَّته أجرَ الغنيِّ الذي أنفق وتصدَّق في سبيل الله، قال: «**فهما في الأجر سواء**»[٢].

ورأينا في مقابله: الفقير الذي عاش حياته في الفقر والبؤس، يُحصِّل بغبائه وسوء نيَّته وِزْرَ الغنيِّ الذي أنفق ماله في الشَّهوات ومعصية الله.

كما رأينا الحديث يحكم على المسلمَيْن المقتَتِلَيْن بأنَّهما في النار، القاتل بقتله، والمقتول لأنَّه كان حريصًا على قتل صاحبه[٣]، وذلك إذا كان اقتتالهما لأجل الدنيا.

النيَّة محلُّها القلب:

وهذه النِّيَّة عملٌ قلبيٌّ خالص، وليســت من أعمال اللسان، ولذا لم يُعرَفْ عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن تابعيهم بإحسانٍ من سَلَف الأُمَّة التلفُّظَ بالنِّيَّة في العبادات، مثل الصلاة والصيام والغُسْل والوضوء، ونحوها، وهو ما نرى بعض النَّاس يُجهدون أنفسَهم في الإتيان به، مثل قولهم: نويتُ رفع الحدث الأصغــر أو الأكبر، أو نويتُ صلاة الظهر أو العصر أربــع ركعات عليَّ لله العظيــم، أو نويتُ الصيام غدًا في شــهر رمضان... إلخ، وكل هــذا لم يأتِ به قرآنٌ ولا سُــنَّة، ولا معنى له، إذ

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الطلاق (٥٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (١٢٧)، عن أبي هُرَيْرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٤. وفيه: «إنَّما الدنيا لأربعة نفر».

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بَكْرة.

QaradawiBooks.com

لا يقول الإنسان إذا أراد الذهاب إلى السوق: نويت الذهاب إلى السوق، أو إذا نوى السفر: نويت السفر!

ونقل الزَّرْكَشِي عن الغزالي في «فتاويه» قوله: أمر النِّيَّة سهلٌ في العبادات، وإنَّما يتعسَّر بسبب الجهل بحقيقة النِّيَّة، أو الوسوسة[١].

الأعمال بمقاصدها:

ولأهميَّة النِّيَّة في توجيه العمل وتكييفه وتحديد نوعه وقيمته، استنبط العلماء قاعدة فقهية من أرسخ قواعد الفقه، التي عُنِيَتْ بها كتب القواعد والأشباه والنظائر، وهي: «الأمورُ بمقاصدها». وفرَّعوا عليها فروعًا كثيرة، منها: العِبْرة في العقود للمقاصد والمعاني، لا للألفاظ والمباني.

ومن فروعها ما عبَّر عنه الحديث: «**إنَّ الله عفا لأُمَّتي عن الخطأ والنِّسْيان وما استكرهوا عليه**»[٢].

وذلك لعدم وجود النِّيَّة في هذه الثلاثة: الخطأ والنسيان والإكراه.

كما استشهد الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بحديث: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات**» على إبطال «**الحِيَل**» التي يُنسب إلى بعض الفقهاء الإفتاء بجوازها، ومعناها: أنَّ العبرة بالصورة لا بالحقيقة، وبالشكل لا بالجوهر، وباللَّفظ لا بالمعنى.

---

(١) انظر: المنثور في القواعد للزركشي (٢٨٤/٣).

(٢) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وابن حِبَّان في مناقب الصحابة (٧٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري، والطبراني في الأوسط (٢١٣٧)، والحاكم في الطلاق (١٩٨/٢): وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٦٤)، عن ابن عبَّاس.

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا ما رفضه المحقِّقون من العلماء، وأقامــوا عليه الأدلة الناصعة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ومن هَدْي الصحابة وسلف الأُمَّة[١].

تنوُّع جزاء العمل الواحد بتنوُّع نيَّته:

ومن تأثير النِّيَّة في الأعمال: أنَّ العمل الواحد يتنوَّع حكمه الشَّرعي، وقيمته الأخلاقية، وجزاؤه الأخروي، تبعًا لنية صاحبه.

ومن الأمثلة التي ذكرها الحديث لذلك: اقتناء الخيل، فهي لرجلٍ أجر، ولآخرَ وزرٌ، ولثالثٍ ســتر، أو كما سمَّاها حديث آخر: «**فرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنســان**»[٢]، وما ذلك إلَّا بسبب النِّيَّة والقصد.

روى الإمام أحمد عن رجلٍ من الأنصــار مرفوعًا: «**الخيلُ ثلاثة: فرسٌ يرتبطه الرجلُ في سبيل الله، فثمنُه أجر، وركوبُه أجر، وعاريتُه أجر، وعلفه أجر. وفرسٌ يُغالَــق عليه الرجل ويُراهَن** ـ فرس القمار ـ **فثمنُه وزر، وعلفُه وزر. وفرس للبِطْنة، فعســى أن يكون ســدادًا من الفقر إن شاء الله**»[٣].

---

(١) راجع: بيان الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية، وما كتبه ابن القيم في إبطال الحيل في كتابيه: إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٢٦/٣ ـ ١٨٨)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشــر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان صـ ٣٣٨ وما بعدها، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) رواه أحمد (٣٧٥٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٣٨): رواه أحمد ورجاله ثقات، فإن كان القاسم بن حسان ســمع من ابن مسعود، فالحديث صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣٩٢)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (١٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إســناده صحيح على شــرط مسلم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٣٧): رواه أحمــد ورجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٤٣).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ورُوِيَ عن ابن مسعود: «**الخيلُ ثلاثة: فرسٌ للرحمن، وفرسٌ للشَّيْطان، وفرسٌ للإنسان، فأمَّا فرس الرحمن، فالذي يُرتبط في سبيل الله تعالى، فعلفُه وبولُه وروثُه. وذكر ما شاء الله.** ـ يعني في ميزان صاحبه حسنات كما صحَّ في حديث آخر ـ **وأما فرسُ الشَّيطان، فالذي يُقامَر عليه ويُراهَن، وأما فرسُ الإنسان، فالفرس يرتبطها الإنسان، يلتمس بطنَها** ـ أي نتاجها ـ **فهي ستر من فقر**»[(١)].

وقد جاء هذا التقسيم الثلاثي في «الصحيحين» من حديث أبي هُرَيْرة[(٢)].

وقال الحافظ السيوطي: قال العلماء: النِّيَّة تؤثِّر في الفعل، فيصير بها تارة حرامًا، وتارة حلالًا، وصورته واحدة، كالذبح مثلًا، فإنَّه يحلُّ الحيوان إذا ذُبح لأجل الله، ويُحَرِّمه إذا ذُبح لغير الله، والصورة واحدة.

وقال المحقِّق ابن القيِّم في كتاب «الروح»: الشَّيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو ينقسم إلى محمودٍ ومذموم، فمن ذلك: التوكُّل والعجز، والرجاء والتمنِّي، والحبُّ لله والحبُّ في الله، والنصحُ والتأنيب (التشهير)، والهدية والرشوة، والإخبار بالحال والشكوى، فإنَّ الأول من كلِّ ما ذُكِرَ محمود، وقرينه مذموم، والصورة واحدة، ولا فارق بينهما إلَّا القصد[(٣)].

---

(١) الحديث قبل السابق.

(٢) ونصُّه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة: لرجلٍ أجر، ولرجلٍ ستر، وعلى رجلٍ وزر...». متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٦٠)، ومسلم في الزكاة (٩٨٧).

(٣) انظر: إتحاف السادة المتقين في شرح الإحياء للزبيدي (٣٩/١٠).

QaradawiBooks.com

النيَّة ومقاصد الشَّريعة:

وفي «إعلام الموقِّعين» أسهب ابن القيِّم في بيان أهمية النِّيَّة والقصد في تحديد قيمة العمل، وأنَّ العملية قد تكـــون صورتهما واحدة، وهذا قُرْبة صحيحة وهذا معصية باطلة. وذلك بسبب النِّيَّة والقصد.

«من ذلك: عصْـــرُ العنب بنيَّة أن يكون خمـــرًا معصية، ملعونٌ فاعله على لســـان رســـول الله ﷺ، وعصره بنيَّة أن يكون خلًّا أو دِبْسًا جائز، وصورة الفعل واحدة.

وكذلك الســـلاح يبيعه الرجل لمن يعرف أنَّه يقتل به مســـلمًا حرامٌ باطل لما فيه من الإعانة على الإثـــم والعدوان، وإذا باعه لمن يعرف أنَّه يجاهد به في سبيل الله فهو طاعةٌ وقربة.

وكذلك عقد النذر المعلَّق على شـــرط ينوي به التقـــرُّب والطَّاعة، فيلزمه الوفاء بما نذره، وينوي به الحلف والامتناع، فيكون يمينًا مكفَّرة.

وكذلك تعليق الكفر بالشرط ينوي به اليمين والامتناع، فلا يكفر بذلك، وينوي به وقوع الشَّـــرْط، فيكفُر عند وجود الشَّـــرط، وصورة اللفظ واحدة.

وكذلك ألفاظ الطلاق صريحها وكنايتها ينـــوي بها الطلاق، فيكون ما نواه، وينوي به غيره فلا تُطلّق.

وكذلك قوله: «أنت عندي مثل أمي» ينوي بـــه الظهار فتحرُم عليه، وينوي به أنَّها مثلها في الكرامة، فلا تحرُم عليه.

وكذلك مَنْ أدَّى عن غيره واجبًا ينوي به الرجوع مَلَكَه، وإن نوى به التبرُّع لم يرجع.

QaradawiBooks.com

وهذه كما أنَّها أحكام الرب تعالى في العقود، فهي أحكامه تعالى في العبادات والمثوبات والعقوبات، فقد اطَّردت سُنَّته بذلك في شرعه وقدره.

أمَّا العبادات فتأثير النيَّات في صحَّتها وفسادها أظهر من أن يُحتاج إلى ذكره، فإنَّ القربات كلها مبناها على النيَّات، ولا يكون الفعل عبادة إلَّا بالنيَّة والقَصْد، ولهذا لو وقع في الماء ولم ينو الغُسْل، أو دخل الحمَّام للتنظيف، أو سَبَح للتبرُّد، لم يكن غُسلُه قُربةً ولا عبادةً بالاتِّفاق، فإنَّه لم ينوِ العبادة، فلم تحصل له، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى.

ولو أمْسَكَ عن المُفطِّرات عادة واشتغالًا ولم ينوِ القُرْبة، لم يكن صائمًا.

ولو دار حول البيت يلتمس شيئًا سقط منه لم يكن طائفًا.

ولو أعطى الفقير هِبَةً أو هدية ولم ينوِ الزَّكَاة، لم يُحْسَبْ زكاة.

ولو جلس في المسجد ولم ينوِ الاعتكاف لم يحصل له.

وهذا كما أنَّه ثابت في الإجزاء والامتثال، فهو ثابت في الثواب والعقاب، ولهذا لو جامع أجنبيةً يظنُّها زوجته، لم يأثم بذلك، وقد يُثاب بنيَّته.

ولو جامع في ظُلمة مَنْ يظنُّها أجنبيَّة، فبانت زوجتُه أثم على ذلك بقصده ونِيَّته للحرام.

ولو أكل طعامًا حرامًا يظنُّه حلالًا لم يأثم به، ولو أكله وهو حلال يظنَّه حرامًا وقد أقدم عليه أثم بنِيَّتِه.

QaradawiBooks.com

وكذلك لو قتل مَنْ يظنُّه مسلمًا معصومًا، فبان كافرًا حربيًّا أثم بنيته، ولو رمى صيدًا، فأصاب معصومًا لم يأثم، ولو رمى معصومًا، فأخطأه وأصاب صيدًا أثم، ولهذا كان القاتل والمقتول من المسلمين في النار لنيَّة كلِّ واحدٍ منهما قتل صاحبه.

فالنيَّة رُوحُ العمل ولُبُّه وقِوَامه، وهو تابع لها يصحَّ بصحَّتها ويفسد بفسادها، والنبيُّ ﷺ قد قال كلمتين كَفَتَا وَشَفَتَا، وتحتهما كنوز العلم؛ وهما قوله: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»[1].

فبيَّن في الجملة الأولى: أنَّ العمل لا يقع إلَّا بالنيَّة، ولهذا لا يكون عملٌ إلَّا بنيَّة.

ثم بيَّن في الجملة الثانية أنَّ العامل ليس له من عمله إلَّا ما نواه، وهذا يعمُّ العبادات والمعاملات والأَيْمان والنُّذور وسائر العقود والأفعال.

وهذا دليلٌ على أن من نوى بالبيع عقد الرِّبا حصل له الرِّبا، ولا يعصمه من ذلك صورة البيع.

وأنَّ من نوى بعقد النكاح التحليل كان محلِّلًا، ولا يخرجه من ذلك صورة عقد النكاح؛ لأنَّه قد نوى ذلك، وإنَّما لامرئٍ ما نوى؛ فالمقدِّمة الأولى معلومة بالوجدان، والثانية معلومة بالنَّصِّ.

وعلى هذا فإذا نوى بالعَصْر حصولَ الخمر كان له ما نواه، ولذلك استحقَّ اللَّعنة.

وإذا نوى بالفعل التحيُّل على ما حرَّمه الله ورسوله، كان له ما نواه؛ فإنَّه قصد المحرَّم وفعل مقدوره في تحصيله، ولا فرق في

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التحيل على المحرَّم بين الفعل الموضـــوع له وبين الفعل الموضوع لغيره إذا جُعِل ذَريعـــة له، لا في عقل ولا في شـــرع؛ ولهذا لو نهى الطبيبُ المريضَ عمَّا يؤذيه وحَمَاه منه، فتحيَّل على تناوله عُدَّ متناولًا لنفس ما نُهِيَ عنه»[١].

أثر النِّيَّة في المباحات والعاديات:

ومن أهم ما تؤثِّر فيه النيَّة: المباحات والعاديات، فإنَّها تتحوَّل بالنيَّة إلى عبـــادات وقربات، فالعمل لكســـب الرزق في زراعـــةٍ أو صناعةٍ أو تجارةٍ أو حرفةٍ أو وظيفةٍ يغدو عبادة وجهادًا في سبيل الله، إذا كان عمله ليَعُفَّ نفسَه عن الحرام، ويُغنِيها بالحلال.

والأكل والشُّـــرْبُ واللُّبْس والتجمُّل كذلك، إذا كان يســـتعين بذلك على طاعة الله، وأداء واجبه نحـــو ربِّه وأهله وأُمَّته، وإظهـــارًا لنعمة الله عليه، ففي الحديث: «**إن الله يُحِبُّ أن يرى أثَرَ نِعْمَتِه على عبده**»[٢].

وقد مرَّ بنا حديثُ سعد بن أبي وقاص أن المؤمن يؤجر في كل عملٍ يبتغي به وجه الله، حتَّى في اللقمة يرفعها إلى فَمِ امرأته[٣].

وأعجب من ذلك: أنَّ شهوة الجنس إذا قضاها المؤمن في الحلال كان له فيها أجرٌ ومثوبـــةٌ عند الله، وفي هذا جـــاء الحديث الصحيح: «**وفي بُضْع أحدِكم صدقة**». قالوا: يا رســـول الله، أيأتي أحدُنا شـــهوتَه

---

(١) إعلام الموقعين (٣/٩٠، ٩١).

(٢) رواه الترمذي في الأدب (٢٨١٩)، وحســـنه، والطيالســـي (٢٣٧٥)، والحاكـــم في الأطعمة (٤/١٣٥)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٦٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٦)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨).

غير مرخصة للطباعة
نسخة معدة

ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه وزر؟ كذلك إذا وضعها في حلالٍ كان له أجر**»[١].

النِّيَّة لا تؤثِّر في الحرام:

وإذا كان هذا هو تأثير النِّيَّة في كل تلك المجالات، فمن المتَّفق عليه أنَّها لا تؤثِّر في الحرام، فحُسْن النيَّة وشرف القصد لا يُحيل الحرامَ حلالًا، ولا ينزع منه صفةَ الخُبْث التي هي أساس تحريمه[٢].

فمن أكل الربا، أو اغتصب مالًا، أو اكتسبه بأيِّ طريق محظور، بنيَّةِ أن يبني به مسجدًا، أو ينشئ دارًا لكفالة اليتامى، أو يؤسِّس مدرسة لتحفيظ القرآن، أو ليتصدَّق بهذا المال الحرام على الفقراء وأهل الحاجة، أو غير ذلك من وجوه الخير، فإنَّ هذه النِّيَّة الطيِّبة لا أثر لها، ولن تخفِّف عنه وزر الحرام، فقد أكَّدت الأحاديث الصحيحة أنَّ الله طيِّب لا يقبل إلَّا طيِّبًا[٣].

وفي حديث ابن مسعود: «**إن الله لا يمحو السيِّئ بالسيِّئ، ولكن يمحو السيِّئ بالحسن، إنَّ الخبيث لا يمحو الخبيث**»[٤].

والحرام لا تُطهِّره الصدقة ببعضه، بل لا بدَّ من الخروج عنه كلِّه، ثمَّ إنَّ المال الحرام ليس مملوكًا لحائزه حتَّى يجوز له التصدُّق منه، بل هو مملوك لصاحبه الأصلي، فلا يقبل منه إلَّا أن يرده إليه أو إلى ورثته.

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر.

(٢) انظر كتابنا: الحلال والحرام في الإسلام صـ ٤٠ ـ ٤٢، الباب الأول، تحت عنوان: النيَّة الحسنة لا تبرِّر الحرام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هُرَيْرة.

(٤) رواه أحمد (٣٦٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والبزَّار (٢٠٢٦)، وضعَّفه الألباني (١٦٢٥)، والحاكم في الإيمان (٣٣/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذَّهْبي، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وبهذا يتبيَّن لنا أنَّ الإســلام يرفض مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، ولا يقبل إلَّا الوسيلة النظيفة للغاية الشَّريفة، فلا بدَّ من شرف الغاية وطهارة الوسيلة معًا.

غير مرخصة للطباعة

إخلاص النِّيَّة أساس القبول:

ولا بدَّ مع اســتحضار النِّيَّة من تجريدها من كلِّ الشَّوائب والرَّغَبات الذَّاتية والدُّنيويَّة، وإخلاصها لله تعالــى في كل عمل من أعمال الآخرة، حتَّى يحوز القبول عند الله.

ذلك أنَّ لكلِّ عملٍ صالحٍ رُكْنَيْن لا يقبل عند الله إلَّا بهما:

أولهما: الإخلاص وتصحيح النيَّة.

وثانيهما: موافقة السُّنَّة ومنهاج الشَّرع.

وبالركن الأول تتحقَّق صحَّة الباطن، وبالثاني تتحقَّق صحة الظاهر، وقد جاء في الركن الأول قوله ﷺ: «**إنَّمــا الأعمال بالنيَّات**»[1]، فهذا هو ميزان الباطن.

وجاء فــي الركن الثاني قوله ﷺ: «**من عمل عمــلًا ليس عليه أمرُنا، فهو ردٌّ**»[2] أي مردود على صاحبه، وهذا ميزان الظاهر.

وقد جمع الله الرُّكنَيْن في أكثر من آية في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمــان: ٢٢]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإسلام الوجه لله: إخلاص القصد والعمل له... والإحسان فيه: أداؤه على الصورة المَرْضِيَّة شرعًا، ومتابعة رسول الله ﷺ وسُنَّته.

وقد مرَّ بنا قولُ الفُضَيْل بن عِيَاض: إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكنْ صوابًا لم يُقْبَلْ، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقْبَلْ، حتَّى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السُّنَّة... ثمَّ قرأ الفُضَيْل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][(١)].

وممَّا رُوِيَ عن ابن مسعود: لا ينفعُ قولٌ إلَّا بعمل، ولا ينفع قولٌ وعملٌ إلَّا بنيَّة، ولا ينفع قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ إلَّا ممَّا وافق السُّنَّة[(٢)].

وقال ابنُ عَجْلان: لا يصلح العلم إلَّا بثلاثٍ: التَّقوى لله، والنيَّة الحسنة، والإصابة[(٣)]. يعني: أن يُؤدَّى على وجهِ الصَّواب شرعًا.

نعلم ممَّا تقدَّم أنَّ إخلاص النِّيَّة لا يكفي وحدَه لقبول العمل، ما لم يكنْ موافقًا لما جاء به الشَّرْع وصحَّت به السُّنَّة، كما أنَّ ورود الشَّرْع بالعمل لا يرقى به إلى درجة القَبُول ما لم يتحقَّق فيه الإخلاص، وتجريد النِّيَّة لله تعالى، وأيُّ عمل من أعمال الآخرة فقد الإخلاص،

(١) رواه أبو نُعَيْم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩٥/٨)، نشر مكتبة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) رواه الآجُرِّي في الشريعة (٢٥٧)، تحقيق د. عبد الله بن عمر الدميجي، نشر دار الوطن، السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م. وضعف إسناده ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٧٠/١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٣) جامع العلوم والحكم (٧١/١).

QaradawiBooks.com

فلا قيمة له في ميزان الحقِّ، يقول ابـــن عطاء الله: الأعمال صُوَرٌ قائمة (كالتماثيل)، ورُوحها وجودُ سرِّ الإخلاص فيها[١].

بدون الإخلاص ـ إذن ـ لا يُقبل عملٌ مهمـــا يكنْ ظاهـره الخير والصلاح.

بناء المسجد لغرض فاسد:

وأضرب لذلك مَثَلَيْن:

الأوَّل: هو بناء المسجد.

فلا ريب أنَّ للمســـجد مكانته وأثره في الحياة الإسلامية، فهو دار للعبادة، ومدرسة للدعوة، ومنتدى للتعارف، ولهذا حثَّ الإسلام على إنشاء المساجد وعمارتها، والعناية بها، ووعد على ذلك بأجزل المثوبة عند الله، حتَّى جاء في الحديث: «**من بنى مسجدًا يبتغي به وجهَ اللهِ بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّة**»[٢]. ولكن الحديث النبويَّ الشَّريف يُنَبِّهنا على أنَّ هذا الثـــواب لمن بنى مســـجدًا «يبتغي به وجـــه الله»، لا لكلِّ من بنى مسجدًا... فإذا كان بناء المسجد لغرض فاسد، وقصدٍ سيِّئ، فإنَّه يكون وبالًا على من أقامه وأسَّســـه، إن النِّيَّة الخبيثـــة تنضح على هذا العمل الطيِّب فتنحرف به، وتُحيل خيرَه شرًّا، وأجره وزرًا.

وفي هذا الأمر جاءت قصَّة «مســـجد الضِّرار» التي نزل فيها قرآنٌ يُتلى، ليبيِّن للنَّاس أنَّ «النوايا الشَّـــريرة» تُفسِد المؤسسات الصالحة،

(١) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق صـ ٥٩.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٥٠)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٣)، من حديث عثمان بن عفان.

غير مرخصة للإذاعة

وتذهب بكلِّ ما فيها من خيرٍ، ونعني بالمؤسسات الصالحة: التي تَتَّخِذُ الصلاح عنوانًا لها ومظهرًا، أو التي يُفترض فيها الصلاح والخير والتَّقوى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

الجهادُ لغرضٍ دنيوي:

والمثل الثاني: هو الجهاد.

وهو أفضل عبادة يتطوَّع بها المسلم، ويتقرَّب إلى ربِّه بها، ومع هذا لا يقبله الله حتَّى يَخلُص من كلِّ الشَّوائب الدنيوية، مثل مراءاة النَّاس، أو إظهار الشَّجاعة، أو الحَمِيَّة للعشيرة أو الأرض أو نحو ذلك.

وإنَّ المرء قد يَلْبَس لُبُوس المجاهدين، ويقاتل في صفوفهم، حتَّى يُقتل على أيدي الكفار، ثمَّ لا يُعَدُّ عند الله شهيدًا، وما ذلك إلَّا لأن نيَّته لم تتجرَّد لإعلاء كلمة الله، وداخَلتها مقاصدُ وبواعثُ أخرى.

وقد جاء في «الصحيحين» عن أبي موسي الأشعري: أنَّ أعرابيًّا أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، الرجل يقاتلُ للمغنم، والرجل يقاتل ليُذكَر، والرجل يقاتل ليُرَى مكانُه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»[1]. ومفهوم هذا: أنَّ كلَّ قتالٍ آخرَ ليس في سبيل الله.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤).

QaradawiBooks.com

صعوبة تحقيق الإخلاص:

ولا تحسبنَّ يا أخي المسلم أنَّ التحقُّق بالإخلاص أمرٌ يسير، وأنَّه في متناول اليد لكلِّ من أراد، وأنَّ تحصيله ممكنٌ بأدنى جهدٍ بلا معاناة ولا مجاهدة، فهذا بعيدٌ عن الحقيقة.

والواقع أنَّ تحقيق الإخـــلاص ليس بالأمر الهيِّـــن، كما يظنُّ بعض الذين يتعاملون مع السُّطوح لا مع الأعماق، ومع القُشُور لا مع اللُّباب.

فقد أكَّد العارفون من سالكي الطَّريق إلى الله تعالى صعوبة الإخلاص ومشقَّتَه على أنفس الخلق، إلَّا على من يسَّره الله تعالى عليه.

وذلك لأنَّ الإخلاص ـ كما قلنا ـ يتضمَّن أمرين: اســـتحضار النيَّة، وتحريرها من الشَّوائب.

أما استحضار النِّيَّة في العمل، فهو مهمٌّ، ولا يكفي أن يؤدِّي الإنسان العمل «أتوماتيكيًّا»، دون أن تحضُره النِّيَّة وتلوِّنه وتوجِّهُه، والرسول ﷺ يقول: «**إنَّمـا الأعمـال بالنيَّات**»[1]. ويقـــول: «**إنَّما يُبعثُ النَّاس على نيَّاتهم**»[2].

وروى ابن أبي الدُّنيا بإسناد مُنقطِعٍ عن عمر: لا عملَ لمن لا نيَّة له، ولا أجرَ لمن لا حِسْبة له. يعني: مَنْ لم يعملِ العملَ احتسابًا لله.

ورُوِيَ عن ابن مسعود أنَّه قال: لا ينفع قولٌ إلَّا بعمل، ولا ينفع قولٌ وعملٌ إلَّا بنيَّة[3].

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٣.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٨.

QaradawiBooks.com

وقال يحيى بنُ أبي كثير: تعلَّموا النيَّة، فإنَّها أبلغُ من العمل[١].

وقال سفيانُ الثَّوْري: ما عالجتُ شيئًا أشــدَّ عليَّ من نيَّتِي؛ لأنَّها تنقلب عليَّ[٢].

وقال زُبَيْد اليَامِي: إنِّي لأُحِبُّ أن تكون لي نيَّة في كلِّ شــيء، حتَّى في الطعام والشراب.

وقال أيضًا: انْوِ في كلِّ شــيء تريده الخيــر، حتَّى خروجك إلى الكُنَاسة[٣].

وقال داودُ الطَّائي: رأيتُ الخيرَ كلَّه إنَّما يجمعُه حُسْنُ النيَّة، وكفاك به وإن لم تَنْصَبْ.

وقال مُطَرِّف بن عبد الله: صلاحُ القلب بصلاحِ العمل، وصلاحُ العمل بصلاح النيَّة[٤].

وقال يوسفُ بن أَسْبَاط: تخليص النِّيَّة من فسادها أشدُّ على العاملين من طولِ الاجتهاد[٥].

وقال: إيثار الله تعالى أفضل من القَتْل في سبيله.

وقيل لنافع بن جُبَيْر: أَلَا تشــهدُ الجنازةَ؟ قال: كما أنت حتَّى أنوي. ففكَّر هُنَيْهة، ثمَّ قال: امْضِ[٦].

---

(١) رواه أبو نُعَيْم في حلية الأولياء (٧٠/٣).

(٢) رواه الخطيب فــي الجامع لأخلاق الراوي (٦٩٢)، تحقيق د. محمود الطحان، نشــر مكتبة المعارف، الرياض.

(٣) رواه الدينوري في المجالسة (٣٥٣٣)، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٤) رواه أبو نُعَيْم في حلية الأولياء (١٩٩/٢).

(٥) رواه الدينوري في المجالسة (١٩٤٦).

(٦) المصدر السابق (٣٥٣٢).

QaradawiBooks.com

وقال عبد الله بن المُبَـارَك: رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعَظِّمه النيَّة، ورُبَّ عملٍ كبير تصغِّره النِّيَّة.

وقال الفُضَيْل بن عِيَاض: إنَّما يريد الله منك نيَّتك وإرادتك.

وقال بعض السلف: من سرَّه أن يكمل له عمله فليُحْسِنْ نيَّتَه، فإنَّ الله تعالى يأجُرُ العبدُ إذا حسنُت نيَّتُه، حتَّى باللُّقْمة[١].

وقال الثَّوري: كانوا يتعلَّمون النِّيَّة للعمل، كما تتعلَّمون العمل[٢].

وقال بعض العلماء: اطلب النِّيَّـة للعمل قبل العمل، وما دُمْتَ تنوي الخيرَ، فأنت بخير.

وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول: من يدلُّني على عملٍ لا أزال فيه عاملًا لله تعالى، فإنِّي لا أُحِبُّ أن يأتيَ عليَّ ساعةٌ من ليلٍ أو نهارٍ، إلَّا وأنا عامل من عُمَّـال الله. فقيل له: قد وجدتَ حاجتك، فاعمَلِ الخيرِ ما اسـتطعتَ، فإذا فتَرْتَ أو تركته فهُمَّ بعمله (أي انْوِه) فإنَّ الهامَّ بعمل الخير كعامله[٣].

وأمَّا تجريد النَّفْس من أهوائها الظاهرة والخفيَّـة، وتصفية النِّيَّة من الشَّـوائب والرغبات الذاتيَّة والدنيويَّة، فما أشقَّه على النَّفس وما أقساه! فإنَّه انتصارٌ علـى الأنانيَّة وحُبِّ الذات وحُبِّ الدنيـا، وفناءُ النَّفس عن حظوظها وأغراضها العاجلة، وإنَّه لو تعلمون عظيم!

---

(١) ذكر ذلك كلَّه الحافظ ابن رجب في شرح حديث: «**إنَّما الأعمال بالنيات**». انظر: جامع العلوم والحكم (٧٠/١، ٧١)، وإحياء علوم الدين للغزالي (٣٧٦/٤) وما بعدها، فضيلة الإخلاص من ربع المنجيات.

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢٦٨/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣٦٤/٤).

QaradawiBooks.com

ولهذا يحتاج إلى مجاهدةٍ شديدة للنَّفس، ومراقبةٍ دائمة لمداخل الشَّيطان إليها، وتنقيةٍ لها من عوامل الدَّغَل والرِّياء، وحُبِّ الجاه والظهور، وحُبِّ المنافع الشَّخصية، وهي عوامل غلَّابة ذات سُلْطة وتأثير على النَّفس البشرية، ولهذا سُئل أحدُ الربَّانيِّين ـ وهو سهل بن عبد الله التُّسْتَري ـ: أيُّ شيءٍ أشدَّ على النفس؟... فقال: الإخلاص؛ لأنَّه ليس لها فيه نصيب[1].

وقال غيره: تخليص النيَّات أشدُّ على العاملين من جميع الأعمال.

وقال يوسف بن الحُسَيْن الرَّازي: أعزُّ شيءٍ في الدُّنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرِّياء عن قلبي، فكأنَّه ينْبُت فيه على لونٍ آخر[2].

بل بالغ بعضُهم فقال: طوبى لمن صحَّت له خطوة واحدة لا يريد بها إلَّا الله تعالى!!

وقال بعضهم: في إخلاص ساعةٍ نجاةُ الأبد، ولكنَّ الإخلاص عزيز!

وذلك لغلبة حظوظ النَّفس على العاملين، وصعوبة التجرُّد من أهوائها، ولهذا اشترط القرآن لخُلُوص المنافق من نفاقه، وانضمامه إلى قافلة المؤمنين: أن يُخْلِص دينه لله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦]، فلم يكتف منهم بالتوبة والإصلاح والاعتصام بالله، حتَّى يُخْلصوا دينهم لله.

---

(١) الرسالة القشيرية للإمام القشيري (٣٦١/٢)، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٢) المصدر السابق (٣٦٢/٢).

QaradawiBooks.com

وكان عمر رضي الله عنه يقول: اللهمَّ اجعل عملي كلَّه صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا[١].

وكان من دعاء مطرِّف بن عبد الله: اللهمَّ إني أستغفرك ممَّا تُبْتُ إليك منه، ثمَّ عدت فيه، وأستغفرك ممَّا جعلته لك على نفسي، ثمَّ لم أَفِ لكَ به. وأستغفرك ممَّا زعمتُ أني أردتُ به وجهك، فخالطَ قلبي منه ما قد عَلِمْتَ[٢]!

وقال محمد بن سعيد المَرْوَزِي: الأمرُ كلُّه يرجع إلى أصلَيْن: فعلٌ منه تعالى بك، وفعلٌ منك له، والمطلوبُ منك في فعله: الرضا بما فعل، وفي فعلك: الإخلاص فيما تعمل، فإذا أنت قد سعدتَ بهذين، وسعِدْتَ في الدَّارَيْن[٣].

ومن النَّاس من تراه فتظنُّه يعملُ للإسلام بحرارةٍ وصدق، بل ربَّما ظنَّ هو نفسَه كذلك، فإذا فتَّشت عن قلبِه وسَبَرْتَ حقيقةَ نواياه، وجدْتَه طالبَ دُنْيا في ثوبِ صاحبِ دِين، يعملُ لنفسه، وهو يُوهِم غيرَه ـ وربما يُوهم نفسَه ـ أنَّه يعمل لربِّه!

إنَّ الله لا يقبلُ القلبَ المدخول، ولا يقبلُ العمل المدخول، إنَّه لا يقبل من العمل إلَّا ما كان خالصًا لوجهه.

أهمية الإخلاص للدعاة والعلماء:

ومن هنا كان على كلِّ مَنْ يدعو **للإسلام** ويعمل لنُصرته: أن يحلِّل بواعثه ونواياه بصدقٍ، ولا يكذبَ على نفسه، ولا على ربِّه، فقد قال

(١) رواه أحمد في الزهد (٦١٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
(٢) جامع العلوم والحكم (٨٤/١).
(٣) إحياء علوم الدين (٣٧٩/٤).

QaradawiBooks.com

الإمام الغزاليُّ بحقٍّ بعد أن ذكر فتنةَ حُبِّ الجاه والظهورِ والشُّهرة والمَحْمَدة عند النَّاس:

«وأشدُّ الخَلْق تعرُّضًا لهذه الفتنة: العلماء؛ فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذَّة الاستيلاء والفرح بالاستتباع، والاستبشار بالحمد والثناء، والشيطان يُلِّبس عليهم ذلك، ويقول: غرضكم نشر دين الله، والنضال عن الشَّرع الذي شرعه رسول الله ﷺ، وترى الواعظ يَمُنَّ على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين، ويفرح بقبول النَّاس قوله وإقبالهم عليه، وهو يدَّعي أنَّه يفرح بما يُسِّر له من نُصرة الدين، ولو ظهر من أقرانه من هو أحسنُ منه وعظًا، وانصرف النَّاس عنه، وأقبلوا عليه؛ ساءه ذلك وغمَّه، ولو كان باعثه الدِّين لشكر الله تعالى؛ إذ كفاه اللهُ تعالى هذا المُهِمَّ بغيره.

ثم الشَّيطان مع ذلك لا يُخلِّيه، ويقول: إنَّما غمُّكَ لانقطاع الثوابِ عنك، لا لانصراف وجوه النَّاس عنك إلى غيرك؛ إذ لو اتَّعظوا بقولك لكنتَ أنت المثاب، واغتمامك لفوات الثواب محمود. ولا يدري المسكين أنَّ انقياده للحق، وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابًا، وأعود عليه في الآخرة من انفراده[1].

فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق، يغرق فيه الجميع، إلَّا الشَّاذُّ النادر والفرد الفذُّ، وهو المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣]. وسننقل كلامه كلَّه فيما بعد.

* * *

(١) إحياء علوم الدين (٤/٣٨٠، ٣٨١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطبع

الفصل الثالث

فضل الإخلاص وخطر الرِّياء

فضل النِّيَّة والإخلاص:

لا غرو ـ إذا كان هذا شأن النِّيَّة وأهمية الإخلاص ـ أن تتكاثر النصوص من القرآن والسُّنَّة في بيان فضلهما ومنزلتهما في الدِّين.

وقد أمر الله في كتابه بالإخلاص، وحثَّ عليه في أكثر من سورة، خصوصًا في القرآن المكيِّ؛ لأنَّه يتعلَّق بتجريد التوحيد، وتصحيح العقيدة، واستقامة الوجهة، فقال تعالى لرسوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۞ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

وقال له: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۞ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر: ١٤، ١٥].

وقال له: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد بيَّنَّا أنَّ القرآن يذكر النِّيَّة والإخلاص بصيغ مختلفة، مثل: إرادة الآخرة، وإرادة وجه الله تعالى، أو ابتغاء وجهه وابتغاء مرضاته، وذكرنا من آيات كتاب الله ما يدلُّ عليه.

وأحيانًا يعبِّر عن ذلك بقوله: ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، وخصوصًا مع الإنفاق والجهاد والقتال. وقد صحَّ الحديث أنَّ القتال لا يكون في سبيل الله، إلَّا إذا كان هدفه وغايته أن تكون كلمة الله هي العليا[1]، ومثل ذلك يقال في الإنفاق والجهاد بكل صوره، فلا يكون ذلك في سبيل الله ما لم يتحرَّر المقصود منه، وهو إعلاء كلمة الله.

وقد بيَّن القرآن الفرق بين غاية المؤمنين وغاية الكافرين في قتالهم، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٧٦]، فالأوَّلون يقاتلون لإعلاء كلمة الله، وهي كلمة التوحيد والحقِّ والعدل والخير، التي تتمثَّل في دينه وشرعه، والآخِرون يقاتلون لإعلاء كلمة الطاغوت، وهو كل ما يُعبَد أو يُعظَّم ويُطاعُ طاعة مُطلَقَةً من دون الله، وهي كلمة الشَّرك والباطل والظُّلم والشَّرِّ والطغيان.

وكم أشاد القرآن بالمخلصين الذين لم يريدوا بأعمالهم إلَّا وجه الله تعالى، يبتغون مرضاته، ولا يركضون وراء رضا النَّاس وثنائهم.

من هؤلاء: الأبرار الذين يُطعمون الطعام لوجه الله، لا يريدون من أحدٍ جزاءً ولا شكورًا، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا

(١) سبق تخريجه صـ٤٠.

QaradawiBooks.com

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ٥ ـ ١٠].

ومن هؤلاء: المُنْفِقون أموالَهم في سبيل الله: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

ومنهم: الذين أمر الله خاتمَ رُسلِه، وصفوةَ خلقِه، أن يصبر معهم، ولا تعدو عيناه إلى غيرهم من أصحاب البريق الذي يخطِفُ الأضواء، فقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٢٨].

ومنهم: أولو الألبـــاب، الأوفياء بعهد الله، الذيـــن صبروا على طول الطَّريق، وعلى أذى قُطَّاعه، وكان صبرهم ابتغاء وجه الله، لا طلبًا للثَّناء، ولا مخافةً من ذمِّهم، ولا جريًا وراء دنيا، ولهذا مدحهم الله بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢].

ليس المهمُّ أن تعمل العمل، إنَّما المهمُّ أن تبتغي به وجه الله سبحانه، وبذلك تضمن قبوله عنـــد الله، والمثوبة عليه في الآخرة. يقول تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٤].

ومن الأحاديث التي تُذكر هنا: ما جاء في التَّرغيب في الحُبِّ لله، والبغض لله، والعطاء لله، والمنع لله، فذلك كلُّه بعضُ مظاهر الإخلاص ومعانيه.

QaradawiBooks.com

فعن أبي أُمامة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمانَ**»(١).

وعن أنسٍ، عن النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أَحَبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله، وأن يكرهَ أن يعودَ في الكفر بعدَ إذْ أنقذه اللهُ منه، كما يكرهُ أنْ يُقذفَ في النَّار**»(٢).

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما(٣) والبَرَاءِ(٤) رضي الله عنه مرفوعًا: «**أوثقُ عُرا الإيمان: الموالاةُ في الله، والمعاداةُ في الله، والحبُّ في الله، والبغضُ في الله**».

وفي الحديث القُدسيِّ عن عُبَادة بن الصامت: «**قال الله تعالى: حقَّت محبَّتي للمتحابِّين فيَّ، وحقَّت محبَّتي للمتواصلين فيَّ، وحقَّت محبَّتي للمُتناصحِين فيَّ، وحقَّت محبَّتي للمتزاورين فيَّ، وحقَّتْ محبَّتي للمتباذلين فيَّ، المُتحابُّون فيَّ على منابرَ من نور، يَغْبِطُهم بمكانهم النبيُّون والصِّدِّيقون والشهداء**»(٥).

ومن ذلك: الأحاديث التي تُنوِّه بالمغمورين الذين لا يتبوَّءون المراكز الاجتماعية المرموقة، ولا يتمتَّعون بصيتٍ ولا شهرة.

---

(١) رواه أبو داود في السنة (٤٦٨١)، والطبراني (١٣٤/٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٩): حسن صحيح. عن أبي أمامة.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان.

(٣) رواه الطبراني (٢١٥/١١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٣٩)، عن ابن عبَّاس.

(٤) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرِّجوه: حسن بشواهده. والطيالسي (٧٨٣)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٠): حسن بمجموع طرقه.

(٥) رواه أحمد (٢٢٧٨٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن حِبَّان في البر والإحسان (٥٧٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٢١).

QaradawiBooks.com

كما في حديث أبي هُرَيْرة في «صحيح مسلم»: «**رُبَّ أشعثَ مدفوعٌ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه**»[١]. وفي رواية الحاكم: «**رُبَّ أشعثَ أغبر ذي طِمْرَيْن، لا يُؤبه له، تنبو عنه أعينُ النَّاس، لو أقسم على الله لأَبَرَّه**»[٢].

وحديث سهْلِ بن سعدٍ عند البخاري، قال: مرَّ رجلٌ على النبيِّ ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هذا؟**». قال: رجل من أشراف النَّاس، هذا والله أحرى إن خطب أن يُنكح ـ أي يزوَّج ـ وإن شَفَع أن يُشَفَّع! فسكت رسول الله ﷺ ثمَّ مرَّ رجل، فقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيُكَ في هذا؟**». قال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا أحرى إن خَطَبَ ألَّا يُنْكَح، وإن شفع ألا يُشفَّع، وإن قال ألَّا يُسْمَع لقوله! فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ من ملءِ الأرضِ مِثْلِ هذا**»[٣]!

وحديث ثوبان، أنَّه ﷺ قال: «**إنَّ من أُمَّتي مَن لو أتى أحدُكم يسأله دينارًا لم يعطِه إيَّاه، ولو سأله درهمًا لم يعطه إيَّاه، ولو سأله فَلْسًا لم يعطِه إيَّاه، ولو سأل اللهَ الجنَّة لأعطاه إيَّاها**»[٤].

ومن الآثار في ذلك: ما كتب به عمر بن الخطاب إلى أبي موسى يقول: مَنْ خلُصت نيَّته لله، كفاه الله تعالى ما بينه وبين النَّاس[٥].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٢)، عن أبي هُرَيْرة.

(٢) رواه الحاكم في الرقائق (٣٢٨/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٧).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٧٥٤٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٨٥١): رواه الطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٩٢٠): رجاله رجال الصحيح.

(٥) رواه الدارقطني في الأقضية (٤٤٧١).

QaradawiBooks.com

وكان مطرِّفُ يقول: من صفا صُفيَ له، ومن خَلط خُلط عليه.

وكان معروفٌ الكَرْخي يضرب نفسَه، ويقول: يا نفسُ أخلصي تتخلَّصي!

وكتب بعض الصالحين إلى أخٍ له: أخلص النِّيَّة في أعمالِك يكفِكَ منها القليل.

وقال الجُنَيْد: إنَّ لله عبادًا عقلوا، فلمَّا عقلوا عملوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البرِّ أجمع[1].

التَّحْذير من الرِّياء:

وكما حفلت نصوص الكتاب والسُّنَّة بالتَّرغيب في النِّيَّة والإخلاص والصِّدْق، حفلت كذلك بالتَّرهيب والتَّحْذير من آفة الرِّياء، وابتغاء وجهِ النَّاس لا وجهِ الله بعمل الآخرة.

كما حذَّرتْ ورهَّبتْ من أمرٍ آخر، هو: حبُّ الجاه والشُّهْرة والمنزلة في قلوب الخلق.

القرآن يُحذِّر من الرِّياء والمرائين:

إنَّ الرِّياء من معاصي القلوب الشَّديدة الخطر على النَّفس وعلى العمل، وهو من الكبائر المُوبقة، ولهذا اشتدَّ الوعيد عليه في القرآن والحديث.

لقد جعله القرآن من أوصاف الكَفَرة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، أو المنافقين الذين يقولون: آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.

(١) إحياء علوم الدين (٣٧٨/٤، ٣٧٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقول تعالى: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

وقال في سورة أخرى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨].

فهذا رياء الكفَّار الذين لا يؤمنون بالمبدأ ولا بالمعاد، فلا يُتصوَّر منهم أن يعملوا لله ولا للدَّار الآخرة.

وإذا كانت نفقتُهم رياء، فإنَّ خروجهم للقتال والغزو رياءٌ كذلك، لا نصيب فيه لله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وأمَّا المنافقون، فقد قال تعالى في شأنهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧]. فتوعَّدهم الله تعالى بالويل، وهو الهلاك والعذاب.

الأحاديث النبويَّة تُرهِّب من خطر الرِّياء:

وأمّا الحديث فكثير، أكتفي منه بما انتقيته من كتاب «التَّرغيب والتَّرهيب» للحافظ المنذري.

QaradawiBooks.com

فقد ذكر في «التَّرهيب من الرِّياء» جملة من الأحاديث، انتقيتُ منها عشرة[١]، بدأها بالحديث الخطير، الذي رواه مسلم وغيره، ونصُّه في «صحيح مسلم»:

عن أبي هُرَيْرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أوَّل النَّاسِ يُقضى يومَ القيامة عليه: رجلٌ استُشهد، فأُتِيَ به، فعرَّفه نعمتَه فعَرَفها. قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استُشْهِدْتُ. قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يقالَ: هو جريءٌ. فقدْ قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلقي في النار. ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به، فعرَّفه نِعَمَه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيكَ القرآن. قال: كذبتَ، ولكنك تعلَّمت ليقال: عالم. وقرأتَ القرآن ليُقالَ: هو قارئ. فقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتَّى ألقي في النار. ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأُتِيَ به، فعرَّفه نِعَمَه فعرفها، قال: فما علمتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن يُنْفَقَ فيها إلَّا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبتَ، ولكنَّك فعلتَ ليُقالَ: هو جَوَادٌ. فقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلْقِيَ في النَّار**»[٢].

أقول: وفيه أنَّ معاوية لما بلغه هذا الحديث، بكى حتَّى غُشِيَ عليه، فلمَّا أفاق قال: صدق اللهُ ورسوله. قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

---

(١) المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري (١/١٠٩ ـ ١١٢).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، وأحمد (٨٢٧٧)، والنَّسائي في الجهاد (٣١٣٧)، عن أبي هُرَيْرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد يسأل بعضُ النَّاس: لماذا هذا العذاب والوعيد الذي يتطاير شررُه، وقد فعل الخير؟ والجواب: أنَّ الإسلام يهتمُّ بالباعث على العمل أكثر من العمل نفسِه، وقد عُلِم بالفطرة أنَّ التَّزْوير من الإنسان على إنسانٍ مثله من شرِّ الرذائل، وأبشع الجرائم، فإذا كان التزوير من المخلوق على خالقه، فالجريمة أبشع وأشنع، وهذا هو عمل المُرائي، يعمل لوجه النَّاس، وهو يريهم أنَّه يريد الله، كذبًا وزورًا، فلا غَرْوَ أنْ يفضحَه الله يومَ تُبلى السرائر، وأن يُسْحَب على وجهه إلى النار! ولذلك قال قتادة: إذا راءى العبدُ قال الله لملائكته: انظروا إليه كيف يستهزئ بي[١]؟!

وعن أُبَيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «**بشِّر هذه الأُمَّة بالسَّنَاء والرِّفْعة والدِّين والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عملَ الآخرة للدُّنْيا لم يكنْ له في الآخرةِ من نصيبٍ**»[٢].

وفي روايةٍ للبيهقي قال: قال رسول الله ﷺ: «**بشِّر هذه الأُمَّة بالتيسير والسَّناء، والرِّفْعةِ بالدِّين، والتَّمْكينِ في البلاد، والنَّصر، فمَنْ عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا، فليس له في الآخرةِ من نَصِيب**»[٣].

وعن جُنْدب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائي يُرَائي اللهُ به**»[٤].

«سَمَّع» ـ بتشديد الميم ـ ومعناه: من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيَّته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رُؤُوس الأشهاد.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٠٠).

(٢) رواه أحمد (٢١٢٢٤)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وابن حِبَّان في البر والإحسان (٤٠٥)، والحاكم في معرفة الصحابة (٤/٣١١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٤١٦).

(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٩)، ومسلم في الزهد (٢٩٨٦).

QaradawiBooks.com

وعن معاذِ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال: «**ما مِن عبدٍ يقوم في الدُّنيا مَقَامَ سُمْعة ورياء، إلَّا سمَّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة**». رواه الطبراني بإسنادٍ حسن[(١)].

وعن محمود بن لَبِيد قال: خـرج النبيُّ عليه الصلاة والسلام فقال: «**يا أيُّها النَّاس، إيَّاكم وشِرْكَ السـرائر**». قال: يا رسول الله، وما شـركُ السَّرائر؟ قال: «**يقوم الرجـلُ فيصلِّي فيُزَيِّن صلاتَه جاهدًا لما يـرى من مَنْظَر النَّاس إليه، فذلك شرك السَّرَائر**»[(٢)].

وعن زيد بن أسلمَ، عن أبيه، أنَّ عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد، فوجد معاذًا عند قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام يبكي، فقال: ما يُبْكيك؟ قال: حديثٌ سمعتُه من رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «**اليسـيرُ من الرِّياء شِرْك، ومن عادى أولياء الله**[(٣)] **فقد بارز اللهَ بالمحاربة؛ إنَّ الله يُحِبُّ الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لـم يُفتَقدوا، وإن حضروا لـم يُعْرَفوا، قلوبُهـم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كلِّ غَبْراء مُظْلِمة**»[(٤)].

---

(١) رواه الطبراني (١١٩/٢٠)، والبزَّار (٢٦٥٧). وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٦٣).

(٢) رواه ابن خزيمة فـي الصلاة (٩٣٧)، وحسَّـنه الألباني في صحيح الترغيـب (٣١)، وقال الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد تحت حديث رقم (٢٣٦٣٠): رجال ابن خزيمة ثقات.

(٣) أولياء الله: هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]، وهذا في معنى الحديث القدسـي عند البخاري في الرقاق (٦٥٠٢): «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**».

(٤) رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٨٩)، والحاكم في الإيمان (٤/١)، وقال: صحيح لا علَّة له. وفي الرقاق (٣٢٨/٤)، وصحَّحه، وضعَّفه البوصيري في زوائد ابن ماجه بابن لهيعة (١٤١٠)، مع أنَّ الـراوي عنه هو عبد الله بـن وهب. والتحقيـق: أنَّـه إذا روى عنه أحـد العبادلة ـ ومنهم ابن وهب ـ فحديثُه مقبول، ويصحِّحه كثيرٌ من المحقِّقين. وكان الأولى أن يُضعَّف في سند ابن ماجه بعيسـى بن عبد الرحمن؛ فهو متروك. وسند الحاكم في الموضع الأول ليس فيه ابن لَهِيعة ولا عيسى، فهو العُمْدة.

QaradawiBooks.com

وعن محمود بن لَبِيد: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشِّركُ الأصغر**». قالوا: وما الشِّرك الأصغرُ يا رسول الله؟ قال: «**الرِّياء، يقول الله تعالى إذا جزى النَّاس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدُّنيا فانظروا: هل تجدون عندهم جزاء؟!**». رواه أحمد بإسنادٍ جيِّد، وابن أبي الدُّنْيا، والبيهقي في الزُّهد وغيره[(١)].

وعن أبي هُرَيْرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك؛ فمَنْ عَمِلَ لي عملًا أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك**». رواه ابن ماجه واللَّفْظ له، وابن خُزَيْمة في «صحيحه»، والبيهقي، ورواة ابن ماجه ثقات[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى يومَ القيامةِ بصُحُفٍ مُخَتَّمة، فتُنْصَبُ بين يَدَي الله تعالى، فيقول تعالى: ألقوا هذه، واقبلوا هذه، فتقول الملائكة: وعِزَّتِكَ وجلالِكَ ما رأينا إلَّا خيرًا، فيقول اللهُ تعالى: إنَّ هذا كان لغير وجهي، وإنِّي لا أقبلُ إلَّا ما ابتُغِيَ به وجهي**». رواه البزَّار والطبراني بإسنادَيْن، رواةُ أحدِهما رواةُ الصَّحيح، والبيهقيُّ[(٣)].

وعن أبي عليٍّ ـ رجل من بني كاهل ـ قال: خَطَبَنا أبو موسى الأشعريُّ فقال: يا أيُّها النَّاس؛ اتَّقُوا هذا الشِّرك، فإنَّه أخفى من دبيب النمل، فقام

---

(١) رواه أحمد (٢٣٦٣٠)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٥): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٢٠٢)، وابن خزيمة في الصلاة (٩٣٨)، وفات المُنْذِريُّ أن يعزوه إلى صحيح مسلم، وهو في الزهد منه (٢٩٨٥)، ولكن لم يقل فيه: «**فأنا منه بريءٌ، وهو للذي أشرك**». بل قال: «تركتُه وشِرْكَه».

(٣) رواه البزَّار (٧٣٨٨)، والطبراني في الأوسط (٢٦٠٣، ٦١٣٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٣٩٥): رجال أحدهما رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب، فقالا: والله لتخرجن ممَّا قلت أو لنأتين عمر مأذونًا لنا أو غير مأذون، فقال: بل أخرج ممَّا قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**يا أيُّها النَّاس؛ اتَّقُوا هذا الشِّركَ؛ فإنَّه أخفى من دبيبِ النَّمْل**» فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتَّقيه وهو أخفى من دبيبِ النَّمْل يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من أن نُشْرِكَ بك شيئًا نعلمُه، ونستغفرُك لما لا نعلمه**». رواه أحمد والطبراني، ورواته إلى أبي علي محتَجٌّ بهم في «الصحيح»، وأبو عليٍّ وثَّقه ابنُ حِبَّان، ولم أر أحدًا جرَّحه[(١)].

ورواه أبو يعلى بنحوِه من حديثِ حُذَيْفة إلَّا أنَّه قال فيه: «**يقولُ كلَّ يوم ثلاثَ مرَّات**»[(٢)].

وكما حذَّرت الأحاديث النبويَّة من آفة الرِّياء، حذَّرت من آفة أخرى هي: حبُّ الجاه والشُّهرة، والحرص على علوِّ المكانة عند المخلوقين.

وقد جاء في بعض الآثار: «حبُّ المال والجاه يُنْبِتَانِ النفاقَ في القلب، كما يُنْبِتُ الماءُ البَقْلَ»[(٣)].

وربَّما كان حبُّ الجاه والمنزلة عند بعض النَّاس أهمَّ بكثيرٍ من حبِّ المال، فقد يبذل المالَ طيِّبَ النفس، ليحصل على الجاهِ والشُّهْرة، وقد ذكر الإمام الغزالي أنَّ الجاه أهم من المال لأوجهٍ ثلاثةٍ ذكرها[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٧، وفيه: «اللهمَّ إنَّا نعوذ بك أن نشرك بك».

(٢) رواه أبو يعلى (٥٨).

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١٥٩/٣) على أنَّه حديث مرفوع، وقال العراقي: لم أجد. وقد رواه الديلمي في الفردوس (٤٣١٩)، عن أنس بن مالك بلفظ: الغناء واللهو ينبتان في القلب النفاق كما ينبت الماء العشب. قلت: فحسبه أن يكون من كلام بعض السَّلَف.

(٤) إحياء علوم الدين (٢٧٩/٣، ٢٨٠).

QaradawiBooks.com

وقد جاء مرفوعًا من حديث كعب بن مالك: «**ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشَّرَفِ لدِينِه**»[١].

والمراد بالشَّرَف في الحديث: المكانة والجاه عند الخلق.

وكلُّ ما مضى من النُّصوص من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، في التَّحْذير من الرِّياء، وحبِّ المال والجاه والشُّهْرة، يدلُّنا بكلِّ جلاء على خطر معاصي القلوب، وآفاتها وآثارها المدمِّرة للأعمال التي ظاهرها الصلاح، ولهذا كانت طاعات القلوب مقدَّمة على طاعات الجوارح، والإخلاص في مقدِّمة هذه الطاعات؛ لأنَّه شرط قبولها كلها، فما حقيقة هذا الإخلاص؟

هذا ما نُبَيِّنه في الفصل التالي.

* * *

(١) رواه أحمد (١٥٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣٧٦)، وقال: حسن صحيح. وابن حِبَّان في الزكاة (٣٢٢٨).

غير مرخصة للطباعة

الفصل الرابع

حقيقة الإخلاص

اختلفت عبارات أهل السلوك ـ على عادتهم ـ في تحديد ماهية الإخلاص، فكلٌّ منهم نظر إلى جانب، أو لفت إلى معنى من معانيه، أو أكَّد ما ذكره الآخر، وإن كانت العبارة مُغَايِرة.

قال الأستاذ أبو القاسم القُشَيْري في «رسالته»:

الإخلاص: إفرادُ الحقِّ سبحانه في الطَّاعة بالقصد. وهو: أنَّه يريد بطاعته التقرُّب إلى الله سبحانه دونَ أيِّ شيءٍ آخر، من تصنُّعٍ لمخلوق، أو اكتسابِ مَحْمَدة عند النَّاس، أو محبَّة مدْحٍ من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرُّب به إلى الله تعالى، ويصحُّ أن يقال: الإخلاصُ تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين.

ويصحُّ أن يُقال: الإخلاص: التوقِّي عن ملاحظة الأشخاص.

وقال شيخُ القوم الجُنَيْد: الإخلاص: سرٌّ بين الله وبين العبد، لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبَه، ولا شيطانٌ فيُفسدَه، ولا هوًى فيُمِيلَه.

وقد ورد في ذلك حديثٌ قدسي ذكره القُشَيْري بسَنَدِه عن ربِّ العِزَّة قال: «**الإخلاص سِرٌّ من سِرِّي، استودعتُه قلبَ مَنْ أحببتُ من عبادي**»[1].

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء صـ ١٧٤٦: إنَّ إسناد الحديث ضعيف. عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

وقال أبو عثمان: الإخلاص: نسيانُ رؤيةِ الخلْق بدوامِ النَّظَر إلى فضل الخالق.

وقال حذيفة المَرْعَشي: الإخلاص: أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن.

وسئل بعضهم عن الإخلاص، فقال: ألَّا تشهد على عَمَلِك غير الله تعالى.

وقال ذو النُّون: ثلاث من علامات الإخلاص: استواء المدح والذمِّ من العامَّة، ونسيانُ رؤية الأعمال في الأعمال، ونسيانُ اقتضاء ثوابِ العمل في الآخرة.

وقال سهلُ بن عبد الله: لا يعرف الرِّياء إلَّا مخلِص[1].

عناصر مهمَّة في تكوين الإخلاص:

وهذه الأقوال تشير إلى عناصر مهمَّة تتكوَّن منها حقيقة الإخلاص، من هذه العناصر:

١ ـ أن يهتمَّ المخلص بنظر الخالق لا بنظر المخلوقين، فإنَّهم لم يغنوا عنه من الله شيئًا، وقد قال الفُضَيْل بن عِيَاض: العمل من أجل النَّاس شِرْك، وترك العمل من أجل النَّاس رياء، والإخلاص: أن يُعافيَك اللهُ منهما.

٢ ـ أن يستوي ظاهر المُخْلِص وباطنه، وعلانِيَتُه وسريرته، فلا يكون ظاهره عامرًا وباطنه خرابًا، ولا تكون علانيتُه عسلًا، وسريرتُه علقمًا، وقد قال سَرِيٌّ السَّقْطِيُّ: من تزيَّن للنَّاس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى.

(١) انظر: الرسالة القشيرية (٢/٢٥٩ ـ ٢٦١) بتصرف.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

٣ ـ أن يستوي عنده مدح النَّاس وذمِّهم، وقد قيل: ما عليك أن تكون مذمومًا عند النَّاس إذا كنتَ محمودًا عند الله، والعكس أيضًا صحيح.

٤ ـ ألَّا ينظر إلى إخلاصه، فيعجب بنفسه، فيُهلكه عُجْبه، ولذا أكَّد العارفون عدم رؤية الأعمال، حتَّى قال أبو يعقوب السُّوسي: متى شهدوا في إخلاصِهم الإخلاص، احتاج إخلاصُهم إلى إخلاص!

وقال أبو بكر الدَّقَّاق: نقصان كلِّ مُخْلِص في رؤية إخلاصه، فإذا أراد الله تعالى أن يُخْلِص إخلاصَه، أسقط عن إخلاصه رؤيتَه لإخلاصه، فيكون مُخلَصًا لا مُخْلِصًا.

وقال أبو عثمان المغربي: الإخلاصُ ما يكون للنَّفْس فيه حظٌّ بحال، وهذا إخلاص العوامِّ، وأمَّا إخلاص الخواصِّ، فهو ما يجري عليهم لا بهم، فتبدو منهم الطَّاعات، وهم عنها بمعزلٍ، ولا يقع لهم عليها ولا بها اعتدادٌ، فذلك إخلاص الخواصِّ[1].

ومعنى هذا: أنَّهم فَنُوا عن أنفسهم، وعن أعمالهم، وعن إخلاصهم، فلم يروا إلَّا الله تعالى الذي أخلصهم لدينه، فأخلصوا له دينَهم.

٥ ـ ومن عناصر الإخلاص: نسيانُ اقتضاءِ ثوابِ العمل في الآخرة؛ لأنَّ المخلص لا يأمن أن يكون عمله مشوبًا بحظٍّ للنَّفْس قد يخفى عليه، فلا يحظى عمل بالقبول عند الله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

والأعمال وإن عظمت فإنَّها لا تكافئ أدنى نعمة من نعم الله تعالى على عبده، على أنَّ التوفيق للعمل إنَّما هو من الله تعالى، فهو صاحب

(١) الرسالة القشيرية (٣٦٠/٢).

QaradawiBooks.com

الفضل أولًا وآخرًا، فلا يقتضي العمل في ذاته ثوابًا في نظر المخلص، بل يرى الثواب إحسانًا من الله إليه، كما قال النبيُّ ﷺ: «**لن يُدخل أحدَكم الجنَّةَ عملُه**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدني اللهُ برحمته**»[1].

٦ ـ الخوف من تسرُّب الرِّياء والهوى إلى النَّفْس، وهو لا يشعر، فإنَّ للشيطان سراديب خفيَّة وملتوية، يدخل بها إلى النَّفس، وقد يئس من إيقاع المؤمن في المعاصي الظاهرة، فعمله الدائم معه في المعاصي الباطنة، وبها يستطيع أن يُضيع عليه عباداتِه وأعمالَه التي يرجو بها الله والدار الآخرة.

ولهذا قال سهلٌ: لا يعرف الرِّياء إلَّا مُخْلِص؛ لأنَّه لخوفه منه يَرْقُبه ويتَّتبعُه، ويعرف أغواره ومداخله، ولا يكذب على نفسه، ويزيِّن لها سوءَ عمله فتراه حسنًا.

ومن أجل هذا صعُب الإخلاص، وقلَّ المخلصون، وفيه قال سهل أيضًا: أهل «لا إله إلَّا الله» كثير، ولكن المُخْلِصين منهم قليل!

هذه العناصر التي ذكرناها هي مقومات الإخلاص الكامل، والسعيد من توافرت له كلُّها، وقليلٌ ما هم، وعلى قدر حظِّ المسلم منها يكون حظُّه من الإخلاص.

تحقيق الغزالي في بيان معنى الإخلاص:

وللإمام الغزالي بحثٌ عميق في «إحيائه» في بيان حقيقة الإخلاص، وهو فارس الميدان في هذا المجال، علمًا وعملًا، وهو الذي رأى عمله

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٧٣)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

في التصنيف والتَّدريس في علوم الفقه والأصول والكلام والردِّ على الفلاسفة والباطنية وغيرها ـ ممَّا بوَّأه مقعد الشُّهرة والإمامة في العالم الإسلامي كلِّه يومَئذ ـ رأى ذلك كلَّه عملًا من أعمال الدنيا، وشهوات النفس، وطلب المنزلة والجاه في قلوب الخلق، فاعتزل ذلك كلَّه، ليطلب الخلاص في الإخلاص[1].

ولهذا كان كلامه هنا كلامُ خبيرٍ بأهواء النَّفس البشرية ومنعطفاتها وتمويهاتها، وبتلبيس إبليس على الإنسان، حتَّى يحسب أنَّه يعمل لله، وهو إنَّما يعمل لذاته.

يقول الغزالي: «اعلمْ أنَّ كلَّ شيءٍ يُتصوَّر أن يشوبه غيرُه، فإذا صفا عن شَوْبِه، وخلُص عنه سُمِّيَ خالصًا، ويُسمَّى الفعل المصفَّى المُخْلَص إخلاصًا، قال الله تعالى: ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦]، فإنَّما خلوص اللبن ألَّا يكون فيه شَوْب من الدَّم والفَرْث، ومن كلِّ ما يمكن أن يمتزج به، والإخلاص يضادُّه الإشراك، فمن ليس مخلصًا فهو مُشرِك، إلَّا أنَّ الشِّرك درجات، فالإخلاص في التوحيد يضادُّه التشريك في الإلهية، والشرك منه خفيٌّ، ومنه جليٌّ، وكذا الإخلاص، والإخلاص وضدُّه يتواردان على القلب، فمحلُّه القلب، وإنَّما يكون ذلك في القصود والنيَّات.

«وقد ذكرنا حقيقةَ النِّيَّة، وأنَّها ترجع إلى إجابة البواعث، فمهما كان الباعث واحدًا على التجرُّد سُمِّيَ الفعلُ الصادر عنه إخلاصًا، بالإضافة إلى المَنْوِي، فمن تصدَّق وغرضه محضُ الرِّياء، فهو مخلص، ومن كان

(١) انظر في ذلك كتابنا: الإمام الغزالي بين مادحيه وناقديه صـ ١١٣ وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

غرضُه محضَ التقرُّب إلى الله تعالى فهو مخلــص، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرُّب إلى الله تعالى عن جميع الشَّوائب، كما أنَّ الإلحاد عبارة عن الميل، ولكنْ خصَّصته العادةُ بالميل عن الحقِّ، ومن كان باعثه مجردَ الرِّياء فهو مُعرَّض للهلاك، ولسنا نتكلَّم فيه، إذ قد ذكرنا ما يتعلَّق به في كتاب الرِّياء من رُبْعِ المُهْلِكات.

وإنَّما نتكلَّم الآن فيمن انبعث لقصدِ التقــرُّب، ولكن امتزج بهذا الباعثِ باعثٌ آخر، إمَّا من الرِّياء أو من غيره من حظوظ النَّفْس، ومثال ذلك أن يصوم لينتفعَ بالحِمْيَة الحاصلة بالصــوم مع قصد التقرُّب، أو يُعتقَ عبدَه ليتخلَّص من مؤنته وسوءِ خُلُقه، أو يحجَّ ليَصِحَّ مزاجُه بحركة السَّفر، أو يتخلَّص من شرٍّ يعرض له في بلده، أو ليهرب عن عدوٍّ له في منزله، أو يتبرَّم بأهله وولده، أو بشُــغلٍ هو فيه، فأراد أن يســتريح منه أيامًــا، أو يغزو ليمارسَ الحربَ ويتعلَّمَ أســبابَه، ويقــدر به على تهيئة العســاكر وجرِّها، أو يصلِّي بالليل وله غرض في دفع النُّعَاس عن نفسه به ليراقبَ أهلَه أو رَحْله، أو يتعلَّم العلمَ ليَسْهُل عليه طلبُ ما يكفيه من المال، أو ليكون عزيزًا بين العشــيرة، أو ليكون عقارُه أو مالُه محروسًا بعزِّ العلم عن الأطماع، أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلَّص عن كَرْب الصمت ويتفرَّج بلذَّة الحديث.

أو تكفَّل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكونَ حُرْمَتُه وافرةً عندهم وعند النَّاس، أو لينالَ به رِفْقًا في الدنيا.

أو كتب مصحفًا ليُجوِّد بالمواظبة على الكتابة خطَّه، أو حجَّ ماشــيًا ليخفِّف عن نفسه الكِرَاء، أو توضَّأ ليتنظَّف، أو يتبرَّد، أو اغتسل لتطيب رائحته، أو روى الحديث ليُعرف بعلوِّ الإســناد، أو اعتكف في المسجد

QaradawiBooks.com

ليُخِفَّ كراءَ المسكن، أو صام ليُخفِّف عن نفسه التردُّد في طبخ الطعام، أو ليتفرَّغ لأشغاله فلا يشغله الأكلُ عنها، أو تصدَّق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه، أو يعود مريضًا ليُعاد إذا مرض، أو يُشيِّع جنازة ليُشَيِّع جنائزَ أهلِه.

أو يفعل شيئًا من ذلك ليُعرف بالخير ويُذْكر به ويُنظر إليه بعينِ الصَّلاح والوقار، فمهما كان باعثُه هو التقرُّب إلى الله تعالى، ولكن انضافَ إليه خطْرة من هذه الخطرات حتَّى صار العملُ أخفَّ عليه، بسبب هذه الأمور، فقد خرج عمله عن حدِّ الإخلاص، وخرج عن أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، وتطرَّق إليه الشِّرك، وقد قال تعالى: «**أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرْكة**»[1].

وبالجملة... كلُّ حظٍّ من حظوظ الدُّنيا تستريح إليه النَّفْس، ويميل إليه القلب، قلَّ أم كثُر إذا تطرَّق إلى العمل تكدَّر به صفْوُه، وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه، منغمسٌ في شهواته، قلَّما ينفكُّ فعلٌ من أفعاله، وعبادة من عباداته، عن حظوظٍ وأغراضٍ عاجلة من هذه الأجناس، فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظةً واحدة خالصة لوجه الله نجا، وذلك لعزَّة الإخلاص، وعُسْر تنقية القلب عن هذه الشَّوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلَّا طلب القُرْب من الله تعالى، وهذه الحظوظ إن كانت هي الباعثة وحدها، فلا يخفى شدَّة الأمر على صاحبه فيها، وإنَّما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلي هو التقرُّب، وانضافت إليه هذه الأمور.

ثمَّ هذه الشَّوائب، إمَّا أن تكون في رتبة الموافقة، أو في رتبة المشاركة، أو في رتبة المعاونة كما سبق في النيَّة.

---

(١) رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

«وبالجملة... فإمَّا أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني، أو أقوى منه، أو أضعف، ولكلِّ واحدٍ حُكم آخر كما سنذكره، وإنَّما الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشَّوائب كلِّها، قليلها وكثيرها، حتَّى يتجرَّد فيه قصدُ التقرُّب فلا يكون فيه باعثٌ سواه، وهذا لا يُتصوَّر إلَّا من محبٍّ لله، مُسْتَهْتَرٍ بالله[1]، مستغرِقِ الهمِّ بالآخرة، بحيث لم يبقَ لحبِّ الدُّنيا في قلبه قرار، حتَّى لا يحبَّ الأكل والشُّرْب أيضًا، بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجِبِلَّة، فلا يشتهي الطعام لأنَّه طعام، بل لأنَّه يقوِّيه على عبادة الله تعالى، ويتمنَّى أنْ لو كُفِيَ شرَّ الجوع، حتَّى لا يحتاج إلى الأكل، فلا يبقى في قلبه حظٌّ من الفضول الزائدة على الضرورة، ويكون قدر الضرورة مطلوبًا عنده، لأنَّه ضرورة دينه، فلا يكون له هَمٌّ إلَّا الله تعالى.

فمثل هذا الشَّخص لو أكل أو شرب، أو قضى حاجته، كان خالصَ العَمَلِ صحيحَ النِّيَّة في جميع حركاته وسكناته، فلو نام مثلًا حتَّى يُريح نفسَه ليتقوَّى على العبادة بعده كان نومُه عبادة، وكان له درجةُ المخلصين فيه، ومن ليس كذلك، فباب الإخلاص في الأعمال مسدود عليه إلَّا على الندور، وكما أنَّ من غلب عليه حبُّ الله وحبُّ الآخرة، فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة هَمِّه وصارت إخلاصًا. فالذي يغلب على نفسه الدُّنيا والعلو والرياسة ـ وبالجملة غير الله ـ فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة، فلا تسلم له عباداته من صومٍ وصلاةٍ وغيرِ ذلك إلَّا نادرًا.

---

(١) استُهْتِرَ بأمر كذا وكذا، ي أولع به، لا يتحدَّث بغيره، ولا يفعل غيره. لسان العرب مادة (هـ. ت. ر).

«فإذن علاج الإخلاص كسرُ حظوظ النفس، وقطعُ الطمع عن الدنيا، والتجرُّد للآخرة، بحيث يغلب ذلك على القلب، فإذ ذاك يتيسَّر الإخلاص.

وكم من أعمالٍ يُتعب الإنسان فيها، ويظنُّ أنَّها خالصة لوجه الله، ويكون فيها مغرورًا؛ لأنَّه لا يرى وجه الآفة فيها، كما حكى عن بعضهم أنَّه قال: قضيتُ صلاةَ ثلاثين سنة كنتُ صليتها في المسجد في الصفِّ الأول؛ لأنِّي تأخرت يومًا لعُذْر، فصلَّيت في الصف الثاني، فاعترتني خَجْلة من النَّاس، حيث رَأَوْني في الصف الثاني، فعرفتُ أن نظر النَّاس إليَّ في الصف الأول كان مسرَّتي، وسبب استراحة قلبي، من حيث لا أشعر!

وهذا دقيقٌ غامض، قلَّما تسلم الأعمال من أمثاله، وقلَّ من يتنبَّه له إلَّا من وفَّقه الله تعالى، والغافلون عنه يرَوْن حسناتهم كلَّها في الآخرة سيئاتٍ، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ [الزمر: ٤٧، ٤٨]. وبقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۞ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وأشدُّ الخلق تعرُّضًا لهذه الفتنة العلماء؛ فإنَّ الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح والاستتباع، والاستبشار بالحمد والثناء، والشيطان يلبس عليهم ذلك، ويقول: غرضُكم نشرُ دين الله، والنِّضال عن الشَّرع الذي شرعه رسول الله ﷺ، وترى الواعظ يمنُّ على الله تعالى بنصيحة الخلق، ووعظه للسلاطين، ويفرح بقبول النَّاس قوله وإقبالهم عليه، وهو يدَّعي أنَّه يفرح بما يُسِّر له من نصرة الدين، ولو

QaradawiBooks.com

ظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظًا، وانصرف النَّاس عنه وأقبلوا عليه، ساءه ذلك وغمَّه، ولو كان باعثُه الدِّين لشُكْر الله تعالى؛ إذ كفاه اللهُ تعالى هذا المُهِمَّ بغيره، ثمَّ الشَّيطانُ مع ذلك لا يُخلِّيه، ويقول: إنَّما غَمُّك لانقطاع الثواب عنك، لا لانصراف وجوه النَّاس عنك إلى غيرك؛ إذ لو اتَّعظوا بقولك، لكنتَ أنت المثاب، واغتمامك لفوات الثَّواب محمود. ولا يدري المسكين أنَّ انقياده للحقِّ، وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوابًا، وأعود عليه في الآخرة من انفراده.

«فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحرٌ عميق، يغرق فيه الجميع، إلَّا الشَّاذَّ النادر، والفرد الفَذَّ، وهو المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣]، فليكن العبد شديدَ التفقُّد والمراقبة لهذه الدقائق، وإلَّا التحق باتباع الشَّياطين وهو لا يشعر»[1].

كلام الغزالي في حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به:

وممَّا بحثه الغزالي وحقَّقه في كتاب «النيَّة والإخلاص» من «الإحياء»: بيان حُكمِ العمل الذي امتزجت به بعض الشَّوائب الدُّنْيوية أو الحظوظ النفسية، ولم يخلُص كلُّه لله، ولم يكن كلُّه للرِّياء، وهل يستحق المسلم به بعض الثواب أو لا؟

وكلامه هنا جيِّد، ينبغي أن ينقل أيضًا، ففيه نَجِدُ عَقْلَ الفقيه وقلبَ الصوفيِّ معًا.

يقول رضي الله عنه: «اعلمْ أنَّ العمل إذا لم يكن خالصًا لوجه الله تعالى، بل امتزج به شَوْبٌ من الرِّياء أو حظوظ النفس، فقد اختلف النَّاس في أنَّ

(١) إحياء علوم الدين (٤/٣٧٩ ـ ٣٨١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ذلك هل يقتضي ثوابًا، أم يقتضي عقابًا، أم لا يقتضي شيئًا أصلًا، فلا يكون له ولا عليه؟

وأمَّا الذي لم يرد به إلَّا الرِّياء فهو عليه قطعًا، وهو سببُ المقت والعقاب.

وأمَّا الخالصُ لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب.

وإنَّما النظر في المَشُوب، وظاهر الأخبار[1] تدلُّ على أنَّه لا ثواب له، وليس تخلو الأخبار عن تعارضٍ فيه.

والذي ينقدح لنا فيه، والعلم عند الله، أن ينظر إلى قَدْرِ قوَّة الباعث.

فإن كان الباعثُ الدينيُّ مساويًا للباعث النفسي تَقَاوما وتَسَاقطا، وصار العملُ لا له ولا عليه.

وإن كان باعثُ الرِّياء أغلبَ وأقوى، فهو ليس بنافعٍ، وهو مع ذلك مضرٌّ ومُفْضٍ للعقاب، نعم العقاب الذي فيه أخفُّ من عقاب العمل الذي تجرَّد للرياء، ولم يمتزجْ به شائبةُ التقرُّب.

وإن كان قصد التقرُّب أغلبَ بالإضافة إلى الباعث الآخر، فله ثواب بقدر ما فَضَل من قوَّة الباعث الديني، وهذا لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

(١) الأخبار التي يدل ظاهرها على أنَّ العمل المشوب لا ثواب له مرَّ بنا بعضُها، عند ذكر أهمية النيَّة في السنة.

QaradawiBooks.com

فلا ينبغي أن يَضيع قصد الخير، بـــل إن كان غالبًا على قصد الرِّياء حبط منه القدر الذي يساويه، وبقيت زيادة، وإن كان مغلوبًا سقط بسببه شيءٌ من عقوبة القصد الفاسد.

وكشـــف الغطاء عن هذا: أنَّ الأعمـــال تأثيرُها في القلـــوب بتأكيد صفاتها، فداعيةُ الرِّياء مـــن المُهْلِكات، وإنَّما غذاء هـــذا المُهْلِك وقُوَّتُه العملُ على وَفْقه. وداعية الخير من المُنْجِيات، وإنَّما قُوَّتُها بالعمل على وَفْقها، فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادَّتان، فإذا عمل على وَفْق مقتضى الرِّياء، فقـــد قوَّى تلك الصفـــة، وإذا كان العمل على وَفْق مقتضى التقرُّب، فقد قوَّى أيضًا تلك الصفـــة، وأحدهما مُهْلك، والآخر مُنْجٍ، فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر، فقد تَقَاوَما، فكان كالمُسْتَضِرِّ بالحرارة إذا تناول ما يضرُّه، ثمَّ تناول من المبرِّدات ما يقاوم قدر قُوَّته، فيكون بعد تناولِهما كأنَّه لم يتناولهما.

وإن كان أحدهما غالبًا، لم يخلُ الغَلَب عن أثرٍ، فكما لا يضيع مثقال ذرَّة من الطعام والشَّـــرَاب والأدوية، ولا ينفكُّ عن أثر في الجسد بحُكْم سُـــنَّة الله تعالى، فكذلك لا يَضيع مثقال ذرَّة من الخير والشَّرِّ، ولا ينفكُّ عن تأثير في إنارة القلب أو تسويده، وفي تقريبه من الله، أو إبعاده، فإذا جاء بما يُقَرِّبُه شـــبرًا مع ما يُبعده، فقد عاد إلى ما كان، فلم يكن له ولا عليه، وإن كان الفعلُ ممَّا يُقَرِّبُه شبرَيْن، والآخر يبعده شبرًا واحدًا، فضل له لا محالةَ شِبْر، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**أَتْبِـعِ الســيئةَ الحسنةَ تَمْحُها**»[1]،

(١) رواه أحمد (٢١٤٠٣)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

فإذا كان الرِّياء المحضُ يمحوه الإخلاصُ المحـــض عَقِيبه، فإذا اجتمعا جميعًا فلا بدَّ وأن يتدافعا بالضَّرورة.

ويشهد لهذا إجماع الأُمَّة على أنَّ من خرج حاجًّا ومعه تجارة، صحَّ حجُّه، وأثيب عليه، وقد امتزج به حظٌّ من حظوظ النَّفس، نعم يمكن أن يقال: إنَّما يُثاب على أعمال الحجِّ عند انتهائـــه إلى مكَّة، وتجارته غير موقوفة عليه، فهو خالص، وإنَّما المشترَك طولُ المسافة، ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة، ولكن الصواب أن يقال: مهما كان الحجُّ هو المحرِّك الأصلي، وكان غرضُ التِّجارة كالمُعين والتَّابع، فلا ينفكُّ نفسُ السَّـــفَرِ عن ثواب، وما عندي أنَّ الغُزاة لا يدركون في أنفســـهم تفرقة بين غزو الكُفَّار في جهة تكثُر فيها الغنائم، وبين جهـــة لا غنيمةَ فيها، ويبعد أن يقال: إدراك هذه التفرقـــة يُحبط بالكُلِّيَّة ثـــوابَ جهادِهم. بل العدل أن يقال: إذا كان الباعثُ الأصلـــي، والمزعج القويُّ، هـــو إعلاء كلمة الله تعالى، وإنَّما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعيَّة، فلا يحبُط به الثواب، نعم لا يساوي ثوابُه ثوابَ من لا يلتفت قلبُه إلى الغنيمة أصلًا، فإنَّ هذا الالتفاتَ نقصانٌ لا محالة.

فإن قلتَ: فالآيات والأخبار تدلُّ على أنَّ شوب الرِّياء مُحبط للثَّواب، وفي معناه شَـــوْبُ طلبِ الغنيمة والتجارة وســـائر الحظوظ، فقد روى طـــاوسُ وغيره مـــن التابعين: أن رجلًا ســـأل النبـــيَّ ﷺ عمَّن يصطنع المعروف، أو قال: يتصدَّق فيحب أن يحمد ويؤجر، فلم يدر ما يقول له، حتَّى نزلت: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][1]، وقد قصد الأجر والحمد جميعًا.

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٢٨)، وابن جرير (١٣٦/١٨).

QaradawiBooks.com

وروى معاذٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أدنى الرِّياءِ شِرْكٌ**»[١]، وقال أبو هُرَيْرة: قال النبيُّ ﷺ: «**يقال لمن أشرك في عمله: خذْ أجرَكَ ممَّن عملتَ له**»[٢].

ورُوِيَ عن عُبَادة، أنَّ الله تعالى يقول: «**أنا أغنى الأغنياء عن الشِّرْكة، من عمل لي عملًا، فأشرك معي غيري، وَدَعْتُ نصيبي لشَرِيكي**»[٣].

وروى أبو موسى أنَّ أعرابيًّا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل حَمِيَّة، والرجل يقاتلُ شجاعة، والرجلُ يقاتل ليُرى مكانُه: مَنْ في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»[٤].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تقولون: فلانٌ شهيد! ولعلَّه أن يكون قد ملأ دَفَّتي راحلته وَرِقًا (أي دراهم). وقال ابن مسعود رضي الله عنه عنه: قال رسول الله ﷺ: «**من هاجر يبتغي شيئًا من الدُّنيا، فهو له**»[٥].

فنقول: هذه الأحاديث لا تُناقض ما ذكرناه، بل المراد بها: من لم يُرِدْ بذلك إلَّا الدنيا، كقوله: «**من هاجر يبتغي شيئًا من الدنيا**» وكان ذلك هو الأغلب على همِّه، وقد ذكرنا أنَّ ذلك عصيانٌ وعدوان، لا لأنَّ طلبَ

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٦.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هُرَيْرة: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**». رواه مسلم في الزهد (٢٩٨٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٩٥٧)، عن عبادة بن الصامت موقوفًا.

(٤) سبق تخريجه صـ٤٠.

(٥) رواه الطبراني (١٠٣/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨٠): رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر في فتح الباري (١٠/١): إسناده صحيح على شرط الشيخين. عن ابن مسعود.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدُّنيا حرام، ولكن طلبها بأعمـــال الدِّين حرام، لما فيه من الرِّياء وتغيير العبادة عن موضعها، وأما لفظ الشِّرْكة حيث ورد فمطلق للتساوي، وقد بيَّنَّا أنَّه إذا تساوى القصدان تقاوما، ولم يكن له ولا عليه، فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب.

ثم إنَّ الإنسان عند الشِّـــرْكة أبدًا في خطر؛ فإنَّه لا يدري أيّ الأمرين أغلب على قصده، فربما يكون عليه وبالًا، ولذلك قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]. أي لا يُرجى اللقاء مع الشِّرْكة، التي أحسن أحوالها التَّسَاقط.

ويجوز أن يقال أيضًا: منصب الشَّهادة لا يُنال إلَّا بالإخلاص في الغزو، وبَعيد أن يقال مَـــنْ كانت داعيته الدِّينيـــة بحيث تُزْعجه إلى مجرد الغزو، وإن لم يكنْ غنيمة، وقَدَر على غزو طائفتين من الكُفَّار: إحداهما غنيَّة، والأخرى فقيرة، فمال إلى جهة الأغنياء لإعلاء كلمة الله والغنيمة، لا ثواب له على غزوه البتَّة... ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك، فإنَّ هذا حرجٌ في الدين، ومدخل لليأس على المسلمين؛ لأن أمثال هذه الشَّوائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلَّا على النُّدُور، فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب، فأمَّا أن يكون في إحباطه فلا.

نعم الإنسان فيه على خطرٍ عظيم؛ لأنَّه ربما يظنُّ أنَّ الباعث الأقوى هو قصد التقرُّب إلى الله، ويكون الأغلبُ على سرِّه الحظَّ النفسي، وذلك ممَّا يخفى غاية الخفاء، فلا يحصل الأجـــر إلَّا بالإخلاص، والإخلاص قلَّما يستيقنُه العبد من نفسه، وإن بالغ في الاحتياط.

فلذلك ينبغي أن يكون أبدًا بعد كمـــال الاجتهاد متردِّدًا بين الردِّ والقَبُول، خائفًا أن تكون في عبادته آفةٌ يكون وبالُها أكثرَ من ثوابها،

QaradawiBooks.com

وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائـــر، وهكذا ينبغي أن يكون كلُّ ذي بصيرة، ولذلك قال سفيان رحمه الله تعالى: لا أعتدُّ بما ظهر من عملي[١].

وقال عبد العزيز بن أبي روَّاد: جاورت هذا البيتَ ستِّين سَنَةً، وحججتُ ستِّين حَجَّة، فما دخلتُ في شيء من أعمال الله تعالى إلَّا وحاسبتُ نفسي، فوجدتُ نصيب الشَّيطان أوفى من نصيبِ الله، ليتَه لا لي ولا عليَّ.

ومع هذا فلا ينبغي أن يُترك العملَ عند خوفِ الآفة والرِّياء، فإنَّ ذلك منتهى بُغْية الشَّـــيطان منه؛ إذ المقصود ألَّا يفوت الإخلاص، ومهما ترك العمل فقد ضيَّع العمل والإخلاص جميعًا.

وقد حُكِيَ أنَّ بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخرَّاز، ويخفُّ في أعماله، فتكلَّم أبو ســعيد في الإخلاص يومًا يريد إخلاص الحركات، فأخذ الفقيرُ يتفقَّد قلبه عند كلِّ حركةٍ، ويطالبه بالإخلاص، فتعذَّر عليه قضاء الحوائج، واستضرَّ الشَّيخُ بذلك، فسأله عن أمره، فأخبره بمطالبته نفسَه بحقيقة الإخلاص، وأنَّه يَعجِز عنها في أكثر أعماله، فيتركها، فقال أبو سعيد: لا تفعلْ؛ إذ الإخلاص لا يقطع المعاملة، فواظبْ على العمل، واجتهدْ في تحصيل الإخلاص، فمـــا قلتُ لك: اترُكِ العمل. وإنَّما قلتُ لك: أخلِصِ العمل. وقد قال الفُضَيْل: ترك العمل بســـبب الخلْق رياءٌ، وفعله لأجل الخلْقِ شِرْك»[٢] اهـ.

كلام ابن رجب حول العمل المَشُوب:

وللعلَّامة ابن رجب الحنبليِّ في شرح حديث: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات**» كلامٌ جيِّد حول العمل المَشُـــوب، وإن خالف في بعضه الإمام الغزالي،

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٢/٢٦٤).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٣٨٤ ـ ٣٨٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يحسنُ بنا أن نذكره هنا، تتميمًا للفائدة، قال رضي الله عنه: «واعلم أنَّ العمل لغير الله أقسام: فتارةً يكونُ رياءً محضًا، بحيث لا يُراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرضٍ دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ...﴾ الآية [الماعون: ٤ ـ ٦].

وكذلك وصف اللهُ الكفَّار بالرِّياء في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧].

وهذا الرِّياء المحض لا يكاد يصدرُ من مؤمنٍ في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدرُ في الصدقة الواجبة أو الحجِّ، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدَّى نفعُها، فإنَّ الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشكُّ مسلمٌ أنَّه حابط، وأن صاحبه يستحقُّ المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله، ويشاركه الرِّياء، فإنْ شاركه من أصله، فالنصوص الصحيحة تدلُّ على بطلانه وحبوطه أيضًا».

وذكر ابن رجب هنا جملة من الأحاديث، مرَّت بنا قبل هذا، فلا داعي لإعادتها، ويكفي منها ما خرَّج النَّسائي بإسنادٍ جيِّد عن أبي أُمَامَةَ الباهلي: أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيتَ رجلًا غزا يلتمس الأجرَ والذِّكْر؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا شيءَ له**» فأعادها ثلاثَ مرات، يقول له رسول الله ﷺ: «**لا شيءَ له**»، ثمَّ قال: «**إنَّ الله لا يقبل من العمل إلَّا ما كان له خالصًا، وابْتُغي به وجهُه**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

QaradawiBooks.com

«وخرَّج الحاكم من حديث ابن عبَّاس ﷺ: قال رجل: يا رسول الله، إنِّي أقف الموقف أريدُ وجــه الله، وأريد أن يُرَى موطني. فلم يردَّ عليه رسولُ الله ﷺ شــيئًا، حتَّى نزلت: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][(١)].

وممَّن رُوِيَ عنه هذا المعنى، وأنَّ العمل إذا خالطه شــيءٌ من الرِّياء كان باطلًا: طائفة من الســلف، منهم عُبَادة بــن الصامت، وأبو الدرداء، والحسن، وسعيد بن المسيّب، وغيرهم.

وفي مراسيل القاسم بن مُخَيْمِرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يقبلُ اللهُ عملًا فيه مثقال حبَّةِ خَرْدَلٍ من رياء**»[(٢)].

ولا نعرف عن السلف في هذا خلافًا، وإن كان فيه خلافٌ عن بعض المتأخرين (لعلَّه يقصد الغزالي).

فإن خالط نيَّةَ الجهاد ـ مثلًا ـ نيَّةٌ غير الرِّياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شــيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلِّيَّة.

وفي «صحيح مســلم» عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الغُزاة إذا غنموا غنيمة، تعجَّلوا ثلثَيْ أجرَهم، فإنْ لم يغنموا شيئًا، تمَّ لهم أجرُهم**»[(٣)].

---

(١) رواه الحاكم في الجهاد (١١١/٢)، وصحَّحه على شــرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شــعب الإيمان (٦٤٣٨)، وقال: ورواه عبدان، عن ابن المبارك، فأرسله لم يذكر فيه ابن عبَّاس. وضعَّفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٩).

(٢) عزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٥٤)، لابن جرير الطبري.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٦)، وأحمد (٦٥٧٧).

QaradawiBooks.com

وقد ذكرنا فيما مضى[١] أحاديث تدلُّ على أنَّ مَنْ أراد بجهاده عَرَضًا من الدُّنيا أنَّه لا أجر له، وهي محمولة علـــى أنَّه لم يكن له غرضٌ في الجهاد إلَّا الدنيا.

وقال الإمام أحمد: التَّاجر والمستأجَر والمُكَاري أجرُهم على قدرِ ما يخلُص من نِيَّتهم في غَزَاتهم، ولا يكون مثلَ من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيرَه.

وقال أيضًا فيمن يأخذ جُعْلًا على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم، فلا بأسَ أن يأخذ، كأنَّه خرج لدينه، فإن أُعْطِيَ شيئًا أخذَه.

وكذا روي عن عبد الله بن عمرو[٢] قال: إذا أجمع أحدُكم على الغزو، فعوَّضه الله رزقًا، فلا بأس بذلك، وأمَّـــا إنْ أحدُكم إنْ أُعْطِيَ درهمًا غزا، وإن مُنع درهمًا مكث، فلا خيرَ في ذلك[٣].

وكذا قـــال الأوزاعي: إذا كانت نيَّة الغـــازي على الغزو، فلا أرى بأسًا[٤].

وهكذا يُقال فيمن أخذ شيئًا في الحجِّ ليحجَّ به: إما عن نفسه، أو عن غيره، وقد روي عن مجاهد أنَّه قال في حجِّ الجَمَّال وحجِّ الأجير، وحجِّ التاجر: هو تمامٌ، لا ينقُص من أجورهم شـــيء، وهـــو محمول على أنَّ قصدَهم الأصليَّ كان هو الحجَّ دون التكسُّب.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٧٦، ٧٧).

(٢) في الأوسط: عبد الله بن عمر.

(٣) رواه ابن المنذر في الأوســـط (٦١٦٠)، تحقيق أحمد بن سليمان بن أيوب، نشر دار الفلاح، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٤) المصدر السابق.

QaradawiBooks.com

وأمَّا إن كان أصل العمل لله، ثمَّ طرأت عليه نيَّة الرِّياء، فإن كان خاطرًا ودفعه، فلا يضرُّه بغير خلاف، وإن استرسل معه، فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نِيَّتِه؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمدُ وابن جَرِير الطَّبَري، ورجَّحا أنَّ عملَه لا يبطُل بذلك، وأنَّه يجازي بنيَّته الأولى، وهو مرويٌّ عن الحسن البصري وغيره.

ويستدلُّ لهذا القول بما خرَّجه أبو داود في «مراسيله» عن عطاءٍ الخراساني، أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنَّ بني سَلِمة كلُّهم يقاتل، فمنهم مَنْ يقاتل للدنيا، ومنهم من يقاتل نَجْدة، ومنهم مَنْ يقاتلُ ابتغاءَ وجه الله، فأيُّهم الشَّهيدُ؟ قال: «**كلُّهم**»[1]؛ إذ كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا.

وذكر ابن جَرِير أنَّ هذا الاختلاف إنَّما هو في عملٍ يرتبط آخِرُه بأوَّلِه، كالصلاة والصيام والحجِّ، فأمَّا ما لا ارتباطَ فيه كالقراءة والذِّكْر وإنفاق المال ونشر العلم، فإنَّه ينقطع بنيَّة الرِّياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نِيَّة.

وكذلك رُوِيَ عن سليمان بن داود الهاشمي أنَّه قال: ربَّما أُحَدِّث بحديثٍ ولي نيَّة، فإذا أتيتُ على بعضه، تغيَّرت نيَّتي[2]. فإذن الحديثُ الواحد يحتاج إلى نيَّات.

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (٣٢١).

(٢) رواه الخطيب في تاريخ دمشق (٤١/١٠)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

ولا يَرِدُ على هذا: الجهادُ، كما في مرسل عطاءٍ الخُرَاساني؛ فإن الجهادَ يلزم بحضور الصفِّ، ولا يجوز تركُه حينئذٍ، فيصيرُ كالحجِّ.

فأمَّا إذا عمل العمل لله خالصًا، ثمَّ ألقى اللهُ له الثَّناء الحسنَ في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضرّه ذلك»[1].

وكان ذلك من عاجل ثوابه في حياته الدنيا، كما سيأتي في الحديث.

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١/٧٩ ـ ٨٣).

نسخة معدلة

QaradawiBooks.com

الفصل الخامس

من دلائل الإخلاص

للإخلاص دلائلُ وعلاماتٌ كثيرة، تظهر في حياة المُخلِص وسلوكه، ونظرته إلى نفسه وإلى النَّاس منها:

الخوف من الشُّهرة:

١ ـ أن يخاف من الشُّهرة وانتشار الصِّيت على نفسِه ودينِه، وخصوصًا إذا كان من أصحاب المواهب، وأن يُوقِنَ بأنَّ القَبُولَ عندَ الله بالسَّرائر لا بالمظاهر، وإنَّ إنسانًا لو طبَّقت شهرتُه الآفاق، وهو مدخول النِّيَّة، لم يغنِ عنه النَّاس من الله شيئًا.

ولهذا كان الزُّهد في الجاه والظُّهور والشُّهرة والأضواء أعظمَ من الزُّهد في المال، وفي شهوة البطن والفَرْج، يقول الإمام سفيان الثوري: ما رأينا الزُّهدَ في شيءٍ أقلَّ منه في الرِّيَاسة، ترى الرجل يزهدُ في المطعمِ والمشربِ والمال، فإذا نُوزِع الرِّيَاسة حامى إليها وعادى[1].

وهذا ما جعل كثيرًا من علماء السلف وصالحيهم يخافون على قلوبهم من فتنة الشُّهرة، وسحر الجاه والصِّيت، ويُحذِّرون من ذلك تلاميذهم، وقد روى المصنِّفون في السلوك في ذلك أشياء كثيرة، مثل

(١) حلية الأولياء (٣٩/٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أبي القاسم القُشَيْري في «الرِّسالة»، وأبي طالب المَكِّي في «قوت القلوب»، والغزالي في «الإحياء»[١].

من ذلك ما قاله الزاهد الشَّهير إبراهيمُ بن أدهم: ما صَدَق اللهَ من أحبَّ الشُّهرة!

وقال: ما قرَّت عيني يومًا في الدُّنيا قط، إلَّا مرة واحدة؛ بتُّ ليلةً في بعض مساجد قرى الشَّام، وكان بي البطن[٢]، فجاء المؤذن، وجرَّني برجلي حتَّى أخرجني من المسجد.

وإنَّما قرَّت عينه؛ لأن الرجل لم يعرفه، ولذا عامله بعُنْف وجرَّه من رجله كأنَّه مجرم.

وهو الذي ترك الإمارة والثروة لله تعالى، وإنَّما لم يخرج هو؛ لأنَّه كان عليلًا أقعده المرض.

وقال الزاهد المعروف بِشْرٌ الحافي: ما أعرف رجلًا أحبَّ أن يُعرفَ إلَّا ذهب دينُه وافتُضح.

وقال أيضًا: لا يجد حلاوةَ الآخرةِ رجلٌ يحبُّ أن يعرفه النَّاس.

وصحب رجل ابن مُحَيْرِيز في سَفَر، فلما فارقه قال: أوصِني. فقال: إنِ استطعتَ أن تعرِفَ ولا تُعرَف، وتمشي ولا يُمشَى إليك، وتَسألَ ولا تُسألَ، فافعلْ.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٣/٢٧٥ ـ ٢٧٨)، ذم الشهرة وانتشار الصيت وبيان فضيلة الخمول، ذم الجاه والرياء، وشرحه إتحاف السادة المتقين للعلامة مرتضى الزبيدي (٨/٢٣٢ ـ ٢٣٨).

(٢) داء في البطن لعله مغص أو إسهال أو نحو ذلك.

غير مرخصة للطباعة

وقال أيُّوبُ السَّخْتِيَاني: ما صدق اللهَ عبدٌ، إلَّا سرَّه ألا يُشْعَر بمكانِه.

وكان خالد بن مَعْدَان الثِّقَةُ العابدُ إذا كثرت حلقتُه قام مخافةَ الشُّهْرة.

وقال سُلَيْم بن حَنْظَلَة: بينما نحن حول أبيِّ بن كعب نمشي خلفه، إذ رآه عمر، فعلاه بالدِّرَّة فقال: انظر يا أميـــر المؤمنين ما تصنع؟ فقال عمر: إنَّ هـــذا ذِلَّةٌ للتابع وفتنةٌ للمتبوع[١]! وهي لفتةٌ عمريَّة نفســـيَّة إلى ما قد تُحْدِثه هذه المظاهر البســـيطة في بدايتها من عواقب وآثار بعيدة الغور في نفسية الجماهير التابعة، والقادة المتبوعين.

وعن الحسن قال: خرج ابن مســـعود يومًا من منزله فاتَّبعه ناس، فالتفت إليهم فقـــال: علامَ تتَّبعوني؟ فوالله لـــو تعلمون ما أُغلق عليه بابي ما اتَّبعني منكم رجلان[٢]!

وقال الحسن: إنَّ خَفْقَ النِّعَال حول الرجال قلَّما تثبت عليه قلوبُ الحمقى[٣]!

وخرج الحسنُ ذاتَ يومٍ، فاتَّبعه قومٌ فقال: هل لكم من حاجة؟! وإلا فما عسى أن يُبقي هذا من قلبِ المؤمن[٤]؟!

وخرج أيوب السَّخْتِياني في سفر، فشيَّعه ناسٌ كثيرون، فقال: لولا أنِّي أعلم أنَّ الله يعلم من قلبي أنِّي لهذا كاره، لخشيتُ المقتَ من الله تعالى[٥].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٥١)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) المصدر السابق (٥٢).

(٣) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٤٩٧)، تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الخمول والتواضع (٥٤).

(٥) المصدر نفسه (٥٩).

QaradawiBooks.com

وقال ابن مسعود: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهُدى، أحلاس البيوت، سُرُج الليل، جُدُد القلوب، خُلْقانَ الثياب، تُعرَفُون في أهل السماء، وَتَخْفَوْنَ في أهل الأرض[١].

وقال الفُضَيْل بن عِيَاض: إنْ قَدَرْت على ألَّا تُعرفَ فافعلْ، وما عليك ألَّا تُعرف؟! وما عليك أن يُثنَى عليك؟! وما عليك أن تكون مذمومًا عند النَّاس إذا كنت محمودًا عند الله تعالى[٢]؟!

لا يفهم من هذه الآثار الدَّعوة إلى الانطوائية والعُزلة، فإنَّ الذين رُوِيَت عنهم إنَّما هم أئمَّةٌ ودعاةٌ مصلحون، كان لهم آثارٌ طيِّبة في دعوة المجتمع وتوجيهه وإصلاحه.

لكنَّ الذي يُفهم من مجموعها هو اليقظةُ لشهواتِ النَّفس الخفيَّة، والحذر من الكُوَى والمنافذ التي يتسلَّل منها الشَّيطان إلى قلبِ الإنسان، إذا سُلِّطت عليه الأضواء، وأحاط به الأتباع والأشياع، وأشير إليه بالبنان.

والشُّهرة في ذاتها ليست مذمومة، فليس هناك أشهر من الأنبياء والخلفاء الراشدين والأئمَّة المجتهدين، ولكنَّ المذموم هو طلبُ الشُّهرة والزعامة والجاه، والحرص عليها، فأمَّا وجودها من غير هذا التَّكَلُّفِ والحرص، فلا شيء فيه، وإن كان فيه ـ كما قال الغزالي ـ فتنةٌ على الضعفاء دونَ الأقوياء.

وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذرٍّ عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّه سئل عن الرجل يعمل العملَ لله من الخير ويحمده النَّاس عليه، فقال: «**تلك عاجل**

(١) الخمول والتواضع لابن أبي الدنيا (١١).
(٢) المصدر نفسه (١٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بشـــرى المؤمن»[١]. خرَّجه مســـلم، وخرَّجه ابن ماجه، وعنده: «**الرجلُ يعمل العمل لله، فيحبُّه النَّاس عليه**»، وبهذا المعنى فسَّره الإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، وابن جَرير الطَّبَري وغيرهم.

وكذلك الحديث الَّذي خرَّجه التِّرْمذي وابـــن ماجه من حديث أبي هُرَيْرة أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، الرجلُ يعمل العمل، فيُسِرُّه، فإذا اطُّلِع عليه، أعجبَه، فقال: «**له أجران: أجر السِّرِّ، وأجر العلانية**»[٢].

اتهام النفس:

٢ ـ أنَّ المخلصَ يتَّهم نفسَه دائمًا بالتفريط في جنْب الله، والتقصيرِ في أداء الواجبات، ولا يسيطر على قلبه الغرور بالعمل والإعجاب بالنَّفْس، بل هو دائمًا يخشى من ســـيئاته ألَّا تُغْفَر، ويخاف على حسناته ألَّا تُقبل، وقد بكى بعض الصالحين في مرضه بكاءً شـــديدًا، فقال بعـــضُ عُوَّاده: كيف تبكي؟ وأنت قد صمتَ وقمتَ، وجاهدتَ وتصدَّقْتَ، وحججْتَ واعتمرتَ، وعلَّمتَ وذكَّرتَ؟ فقال: وما يدريني أنَّ شيئًا منها في ميزاني؟ وأنَّها مقبولةٌ عند ربِّي؟ والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧].

ومنبع التَّقوى إنَّما هو القلب، ولذا أضافها القرآن إليه فقال: ﴿**فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ**﴾ [الحج: ٣٢]، وقال ﷺ: «**التَّقـــوى هاهنا**». وكرَّرها ثلاثًا، وأشار إلى صدره[٣].

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٤٢)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٤)، وقال: غريب، وقد روى الأعمش، وغيره عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي صالح، عن النبي ﷺ مرسلًا. وابن ماجه (٤٢٢٦)، كلاهما في الزهد، ورجَّح المرسل الدارقطني كما في العلل (١٠٦٨)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٤٣٤٤).

(٣) سبق تخريجه صـ١٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد سألتْ السيدةُ عائشة رسولَ الله ﷺ عمَّن يَصدُق عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: أهم الذين يسرقون ويزنون ويشربون الخمر وهم يخافون الله تعالى؟ فقال: «**لا يا ابنةَ الصِّدِّيق، ولكنَّهم الذين يُصَلُّون ويصومون ويتصدَّقون، وهم يخافون ألَّا يُتَقَبَّلَ منه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾** [المؤمنون: ٦١]»[(١)].

والمُخلِص يخاف أبدًا من تسلُّل الرِّياء إلى نفسه وهو لا يشعر، ولهذا سُمِّيَ «الشهوة الخفيَّة» التي تَدَسَّسُ إلى نفْس السالك للطَّريق دون أن ينتبه لها.

وفي هذا يقول ابن عطاء الله محذِّرًا ومنبِّهًا: «حظُّ النَّفْس في المعصية ظاهرٌ جليٌّ، وحظُّها في الطَّاعة باطنٌ خفيٌّ، ومداواةُ ما يخفى صعبٌ علاجُه، ربَّما دخل الرِّياءُ عليك من حيث لا ينظر الخَلْقُ إليك. استشرافُك أن يعلم الخَلْقُ بخصوصيتك، دليلٌ على عدم صدقك في عبوديتك. غَيِّبْ نظرَ الخَلْقِ إليك بنظر الله إليك، وغبْ عن وجود إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك!»[(٢)].

العمل في صمت بعيدًا عن الأضواء:

٣ ـ أن يكون العملُ الصامتُ أحبَّ إليه من العمل الذي يَحُفُّه ضجيجُ الإعلان وطنينُ الشُّهرة.

---

(١) رواه أحمد (٢٥٢٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في التفسير (٣١٧٥) وسكت عنه، وابن ماجه في الزهد (٤١٩٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣٧).

(٢) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق صـ ١٩٣ ـ ١٩٥.

QaradawiBooks.com

إنَّه يُفضِّل أن يكون أبـدًا «الجنديَّ المجهـولَ» الذي يبذلُ ولا يُعرَف، ويضحِّي ولا يُذكَر، ويؤثِّر أن يكون من الجماعة كالجذر من الشَّـجَرة، به قِوامُها وحياتُها، ولكنَّه مستورٌ في باطن الأرض لا تراه العيون، أو كالأسـاس من البِنـاء، لولاه ما ارتفع جـدار، ولا أظَلَّ سـقفٌ، ولا قام بيـتٌ، ولكنَّ أحـدًا لا يـراه كما يـرى الجُدْران والشُّرُفات، قال شوقي:

خَفِيَ الأساسُ عن العُيُونِ تواضعًا مِنْ بَعْدِ ما رُفِعَ البِنَاءُ مَشِـيدا[1]!

وقد مرَّ بنا حديث معاذ: «**إنَّ الله يحبُّ الأبرارَ الأتقياء الأخفياء الَّذين إن غابوا لم يُفتَقَدوا، وإن حضروا لم يُعرفـوا، قلوبُهم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كلِّ غبراءَ مُظْلِمَة**»[2].

ألَّا يطلب المدح ولا يغترَّ به:

٤ ـ ومن دلائل الإخلاص: ألَّا يطلب مـدح المادحين، ولا يحرص عليه، وإذا مدحه مادح لم يَغرَّه ذلك عن حقيقة نفسِـه التي بين جنْبيه، فهو أدرى بخباياها والتواءاتهـا، ممَّن يخدعهم بريق الظواهر عن بواطن الضمائر.

وقد قال ابن عطاء الله فـي «حِكَمه»: النَّاس يمدحونـك لِمَا يظنُّونه فيك، فكنْ أنت ذامًّا لنفسك لما تعلمه منها. أجهلُ النَّاس من ترك يقينَ ما عندَه لظنِّ ما عند النَّاس[3]!

(١) الشوقيات (١١١/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.
(٢) سبق تخريجه صـ٥٦.
(٣) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق صـ ١٧٩.

QaradawiBooks.com

ويُروى عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّــه كان إذا مُدِح يقول: اللهمَّ لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا ممَّا يظنُّون، واغفر لي ما لا يعلمون[١].

وكذلك قال ابنُ مســعودٍ رضي الله عنه لمن تبعوه وأحاطوا به: لو علمتم ما أغلق عليه بابي ما اتَّبعني منكم رجلان[٢]! وهو من أعلامِ الصحابة وأئمَّةِ الهُدى ومصابيح الإسلام.

وأثنى جماعة على أحد الربانيِّيــن، فقال معتذرًا إلى ربِّه: اللهمَّ إنَّ هؤلاء لا يعرفونني، وأنت وحدَك تعرفُني!

وقال أحد الصالحين يناجي ربَّه، وقد أثنى عليه بعضُ النَّاس، وأضفَوْا عليه ما أضفوا من خصال الخير، ومكارم الأخلاق:

يظُنُّون بي خيرًا، وما بِيَ من خيرِ ... ولكنَّنــي عبدٌ ظَلُــومٌ كما تدري
سترتَ عيوبي كلَّها عن عيونِهم ... وألبســتني ثوبًا جميلًا من السَّتْرِ
فأَمْسَــوا يُحِبُّوني، وما أنا بالذي ... يُحَــبُّ، ولكن شــبَّهوني بالغَيْرِ
فلا تَفْضَحَنِّي فــي القيامةِ بينَهم ... وكنْ لي يا مولايَ في موقفِ الحَشْرِ[٣]

لقد أشار هذا الشَّاعر الصالح إلى معنًى لطيفٍ مُهِمٍّ، وهو جميلُ سترِ الله تعالى على عباده، فكم من عيوبٍ خفيَّةٍ ســترها الله تعالى بستره عن أعيُن الخَلْق، لو كشــفها اللهُ جلَّ جلاله عن عبده المستور، لنزلت رُتْبَتُه، وربَّما سقطت منزلتُه، ولكنَّ فضلَ الله يأبى إلَّا أن يستر ضعفَ عبادِه، مِنَّة منه وكرمًا.

(١) إحياء علوم الدين (١٦١/٣).
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٥٢).
(٣) ذكره ابن الحاج غير منسوب في المدخل (٢٠٣/٣)، نشر دار التراث.

QaradawiBooks.com

وفي هذا يقول ابنُ عطاء الله: مَنْ أكرمَكَ فإنَّما أكرم فيك جميلَ سَتْرِه، فالفضلُ لمن أكرمك وسترك، ليس لمن مدحك وشكرك[١].

ويقول أبو العَتَاهِيَة:

أَحْسَنَ اللهُ بِنَا أنَّ الخطايا لا تَفُوحُ!
فإذا المستورُ مِنَّا بين ثَوْبَيْهِ فُضُوحُ[٢]!

ألَّا يبخلَ بمدح مَنْ يستحقُّ المَدْح:

٥ ـ ومن دلائل الإخلاص: ألَّا يبخَل بمدحِ من يستحقُّ المدح، والإشادة بكلِّ من هو أهل للإشادة به، فهناك آفتان خطيرتان:

الأولى: توجيه المدح والثناء لمَن لا يستحقُّه.

والثانية: الضنُّ بالمدح عمَّن يستحقُّه.

وقد مَدح النبيُّ ﷺ جماعةً من أصحابه، مُنوِّهًا بفضائلهم ومناقبهم، كقوله عن أبي بكرٍ: «**لو كنتُ متَّخِذًا خليلًا، لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا، ولكنْ أخي وصاحبي**»[٣].

وقوله لعُمَرَ: «**لو سلكتَ فجًّا لسَلَكَ الشَّيطان فجًّا آخر**»[٤].

وقوله عن عثمان: «**إنَّه رجلٌ تستحي منه الملائكة**»[٥].

---

(١) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق صـ ١٧١.
(٢) ديوان أبي العتاهية صـ ١١٦، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٦) عن ابن عبَّاس.
(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٩٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٦)، عن سعد بن أبي وقاص.
(٥) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠١)، وأحمد (٢٤٣٣٠)، عن عائشة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

وقال لعلي: «**أنت منِّي بمنزلةِ هارون من موسى**»[١].

وقال عن خالد: «**سيفٌ من سيوف الله**»[٢].

وقال عن أبي عُبَيْدة: «**أمينُ هذه الأُمَّة**»[٣].

وكثيرون نوَّه بهم ﷺ، وأبرز ما لهم من مواهبَ ومَلَكاتٍ، وبعضهم كانوا شبابًا، مثل أسامةَ بنِ زَيْدٍ الَّذي ولَّاه قيادةَ جيشٍ فيه بعضُ كبار الصحابة، وعتَّاب بن أَسِيد، الذي استخلفه على مكَّة وهو ابن العشرين، ومعاذ بن جبل الذي أرسله إلى اليمن وهو شابٌّ، وبعضُهم قدَّمه على السابقين في الإسلام، لمَزِيَّة عنده، كما فعل مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

وربَّما كان حجْزُ المدحِ عن أهله، لهوًى خفيٍّ في نفسه، أو حسدٍ متمكِّنٍ، فهو يخاف مزاحمتَه في مركزه، أو منافستَه في منزلته، وهو لا يملكُ أن يُطلقَ لسانُه بذمِّه، فعلى الأقلِّ يسكتُ عن مدحه.

وقد رأينا عمر الفاروق يطلب رأيَ ابنِ عبَّاس في بعض الأمور، وهو شابٌّ صغيرُ السِّنِّ، ويقول له أمام كبار الصحابة: تكلَّمْ يا ابنَ عبَّاس ولا يمنعْكَ حداثةُ سِنِّكَ[٤].

---

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤١٦)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٤)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٥٧)، عن أنس.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في أصحاب الرسول (٣٧٤٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤١٩)، عن أنس بن مالك.

(٤) رواه أبو نُعَيْم في حلية الأولياء (٣١٧/١).

QaradawiBooks.com

استواء العمل في القيادة والجندية:

٦ ـ ومن دلائل الإخلاص: أنَّ المخلِص لله يستوي عنده أن يعمل قائـدًا، وأن يعمل جنديًّا في آخر الصفوف، مـا دام في كلا الموقعَيْن إرضـاءٌ لله تعالـى، فلا يسـتولي على قلبه حـبُّ الظهـور، وتصدَّر الصفوف، والرغبة في الرياسة والزعامة، واعتلاء المراكز القيادية، بل ربَّما آثر الجنديَّة خشية التفريط في واجبات القيادة وتبعاتها، وهو على كلِّ حال لا يحرص عليها، ولا يطلبها لنفسه، ولكن إذا حُمِّلها حَمَلها، واستعان بالله على القيام بحقِّها، وقد وصف الرسول ﷺ هذا الصِّنْف من النَّاس، فقال: «**طوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنَانِ فرسِه في سبيل الله، أشعثَ رأسُـه، مغبرَّةٍ قدماه، إن كان في السَّـاقَةِ كان في السَّاقَة، وإن كان في الحراسةِ كان في الحراسةِ**»[1].

ورضي اللهُ عن خالد بن الوليد الذي عُزِل عـن إمارة الجيش، وهو القائد المظفَّر، فعَمِلَ تحت قيادة أبي عُبَيْدة دون تململٍ ولا تذمُّر، وكان نِعْمَ المشيرُ والمعين.

كما حذَّر الرسولُ الكريم ﷺ من سؤال الإمارة وطلبها.

فقد جاء في «الصحيح»: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعبد الرحمن بن سَـمُرة: «**لا تسألِ الإمارة؛ فإنَّك إن أُعْطِيتَها بغيرِ سؤالٍ أُعِنْتَ عليها، وإن سألتَها وُكِلْتَ إليها**»[2].

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، عن أبي هُرَيْرة.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٦)، ومسلم في الأيمان (١٦٥٢).

QaradawiBooks.com

الاحتفال برضا الله لا النَّاس:

٧ ـ ألَّا يبالي برضا النَّاس إذا كان من ورائه سخط الله تعالى، فإنَّ النَّاس يختلفون أشدَّ الاختلاف في أذواقهم ومواقفهم، وتفكيرهم وميولهم، وأهدافِهم وطرائقهم، ومحاولةُ إرضائهم غايةٌ لا تُدْرَك، ومطلَبٌ لا يُنَال.

وفي هذا قال الشَّاعر:

ومَنْ في النَّاس يُرضي كلَّ نَفْسٍ وبَيْنَ هوى النُّفُوسِ مدًى بَعِيدُ[(١)]؟

وقال الآخر:

إذا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرتي فلا زَالَ غضبانًا عليَّ لِئامُها[(٢)]!

ولو أرضى اللئام لأغضب ـ بلا ريب ـ الكرام.

والمُخْلِص قد أراح نفسَه من عَنَاء هذا كلِّه، وكان شعارُه مع الله:

فليتَكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ وليتك ترضى والأنامُ غِضَابُ!
وليتَ الَّذي بيني وبينَك عامرٌ وبيني وبينَ العالمينَ خَرَابُ!
إذا صحَّ مِنْكَ الوُدُّ، فالكلُّ هَيِّنٌ وكلُّ الَّذي فوقَ التُّرَابِ تُرَابُ[(٣)]!

جَعْلُ الرِّضا والسّخط لله لا للنَّفس:

٨ ـ أن يكون حبُّه وبغضه، وعطاؤه ومنعه، ورضاه وغضبه لله ولدينه، لا لنفسه ومنافعه، فلا يكون كأولئك النفعيِّين من المنافقين، الذين ذمَّهم

---

(١) من شعر ناصيف اليازجي.

(٢) من شعر أبي العيناء، انظر: زهر الآداب وثمر الألباب للحصري (٣٢٧/١)، نشر دار الجيل، بيروت.

(٣) من شعر أبي فراس الحمداني، كما في ديوانه (٢٤/٢، ٢٥)، جمع سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٤٤م.

QaradawiBooks.com

الله في كتابه، وقال فيهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨].

لقد ترى بعض العاملين في ميدان الدَّعوة إذا مسَّه أحدُ إخوانِه بكلمةٍ تؤذيه أو جَرَحَ شعورَه بتصرُّف يسوءه في نفْسِه، أو في أحدٍ من خاصَّته وذويه، سرعان ما يغضب ويتبرَّم، ويَدَع العمل والحركة، ويعتزل ميدان الجهاد والدَّعوة.

والإخلاص للغاية يقتضيه أن يُصِرَّ على دعوته، ويثبت على اتِّجاهه، مهما أخطأ في حقِّه المخطئون، وقصَّر المقصِّرون، أو أسرف المسرفون؛ لأنَّه يعمل لله لا لنفسه ولا لذويه، ولا لفلانٍ أو عِلَّان من النَّاس.

ودعوة الله ليست حكرًا على أحدٍ وملكًا له، إنَّها دعوة الجميع، فلا يجوز أن يتخلَّى عنها مؤمن بها من أجلِ موقفِ هذا أو تصرُّف ذاك.

الصبر على طول الطَّريق:

٩ ـ ألَّا يحملَه طولُ الطَّريق، واستبطاء الثمرة، وتأخُّر النجاح، ومتاعب العمل مع النَّاس المختلفين في أذواقهم وميولهم، على الكسل والتراخي أو التفلُّت، أو التوقُّف في منتصف الطَّريق. إنَّه لا يعمل للنَّجاح فحسْب، أو للنَّصر فقط، بل لرضا الله وامتثال أمره قبلَ كلِّ شيء، وبعدَ كلِّ شيء، وقد عاش نوحٌ شيخُ المرسلين في قومه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، يدعو ويُبلِّغ، ولم يؤمن معه إلَّا قليل، برغم تفنُّنه في أساليب الدَّعوة، وتنويع أوقاتها، وتغيير صِيَغها، كما قال الله تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٥ ـ ٧].

QaradawiBooks.com

ومع هذا ظلَّ نوحٌ عليه السلام تسعمائة وخمسين عامًا يدعو قومه، تعاقب عليه نحو أربعين جيلًا، وهم عنه مُعرِضُون، وهو عليهم حريص.

وحكى القرآن الكريم لنا نموذجًا مؤمنًا في سورة البروج، قدَّموا أرواحهم في سبيل الله، وصبروا على اصطلاء النار ذات الوقود، والكفرة الطغاة عليهم شهود، ولم يبالوا بما أصابهم في سبيل الله، ولم يقولوا: ماذا يفيد استشهادنا لدعوتنا؟ لأنَّ عليهم الثَّبات والبذل. وعلى الله إنجاح الدَّعوة، ومن يدري لعلَّ دماءهم تكون هي الغذاء لشجرة الإيمان من بَعْدِهم؟

إن عمل المُخْلِص أساسًا لله تعالى، فهو ثابتٌ عليه، مستمرٌّ فيه، أمَّا الثَّمرة والنتيجة في الدنيا، فهو يَدَعُها لله تعالى، يهيِّئ أسبابها، ويحدِّد أجلَها، وما عليه إلَّا أن يتحرَّى ويجتهد وُسْعَه، فإن تحقَّقت، فالحمدُ لله، وإن تعثَّرت أو تعذَّرت، فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

إنَّ اللهَ لا يسألُ النَّاس في الآخرة: لماذا لم ينتصروا؟ ولكن يسألهم: لماذا لم تُجاهدوا؟ ولا يسألهم: لماذا لم تنجحوا، بل يسألهم: لماذا لم تعملوا؟!

الفرح بكلِّ ذي كفاءة يبرز:

١٠ ـ الفرح بكلِّ ذي كفاءة يبرز في صفِّ العاملين ليحمل الرَّاية أو يُسهم في العمل، وإتاحة الفرصة لكلِّ ذي موهبة أن يأخذ مكانه، دون تعويق له أو ضيق به، أو حسدٍ له، أو ضَجَرٍ منه، بل نرى المخلص إذا وجد من هو خيرٌ منه في تحمُّل تَبِعَتِه، تنحَّى له راضيًا، وقدَّمه على نفسه طائعًا، وسعِد بأنْ يأخذ خُطوة إلى الخلف.

غير مرخصة للطباعة

إن بعضَ العاملين ـ وخصوصًا في الصفوف الأولى ـ يتشبَّثُ بموقعه القياديِّ، ويستقتلُ دونه، ولا يتنازلُ عنه بحالٍ، ويقول: منصبٌ ولَّانيه اللهُ فلا أدعه، أو قميصٌ ألبسنيه فلا أنزعه! وكأنَّه معيَّن من قبل السماء! هذا مع أنَّ الزمن قد تغيَّر، والقـوَّة قد ضعُفت، ولكلِّ زمانٍ رجالُه، كما لكلِّ مقامٍ مقالُه، وكثيرًا ما يُعاب الحُكَّام على تشبُّثهم بكراسيِّهم واستماتتهم في الحفاظ عليها، بدعوى أنَّهم الأقدر على تسيير السفينة، وحمايتها من الرياح الهُوج. فلا يجوز أن يقع دعاةُ الإسـلام فيما ينتقدون به غيرهم، وينكرونه عليهم، كما لا ينبغي هنـا التذرُّع بمصلحة الدَّعوة ـ كما تذرَّع الآخرون بمصلحة الوطن والأُمَّة ـ فربما كان ذلك من أحابيل الشَّـيطان وسراديبه الملتوية للدخول إلى قلوب العاملين للإسلام، فإذا هم يسقطون فرائسَ لحبِّ الذات، وحـبِّ الجاه، وحبِّ الدنيا، وهم يحسـبون أنَّهم يخدمون الدِّين.

وكم من جماعاتٍ وحركاتٍ أصابها مـن الطُّغيان الخارجيِّ، أو من التمزُّق الداخلي، أو من الفُتـور والذُّبول في الفكر وفي العمل، وفقدان المبادرة والتجديـد، نتيجةً لمطامحِ فـردٍ أو أفرادٍ فيها، أَبَـوْا أن يُخْلوا مكانهم لغيرهم، ناسـين أن الأرضَ تدور، وأن الفَلَك يسير، وأن العالم يتغيَّر، ولكنَّهم وحدهم، لا يدورون مع الأرض، ولا يسيرون مع الفَلَك، ولا يتغيَّرون مع الزمان والمكان والإنسان!

ومن هؤلاء من يحمِّل نفسه من الأعباء والمسؤوليات فوقَ ما يحتملُه كاهلُه، وهو في الواقع يسـدُّ الطَّريـق على غيرِه من المواهب الشَّـابَّة، والكفايات الفتيَّة، التي تسـتطيع أن تُشارك في حمل الأمانة، وأن يكون لها نصيبُها من بناء المسؤولية، وإذا كانت الخبرة تنقصهم، فهم يكسبونها بالممارسة، ويُنْضِجُونها بالمعاناة، وإنَّما العلم بالتعلُّم.

QaradawiBooks.com

الحرص على العمل الأنفع:

١١ ـ ومن دلائل الإخلاص: الحرص على العمل الأَرْضَى لله، لا الأَرْضَى للنفس، فيُؤثِرُ المخلِصُ العملَ الأكثر نفعًا، والأعمقَ أثرًا، وإن لم يكنْ له فيه هوًى، ولا له فيه لذَّة ونشوة.

فقد يتلذَّذ بصيامِ النَّافلة، أو بصلاةِ الضُّحى، ولو شغل هذا الوقت بإصلاح ذاتِ البَيْنِ لكان أولى. وفي الحديث: «**ألا أخبركم بأفضلَ من درجةِ الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاحُ ذات البَيْن، فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْن هي الحالقة**»[(١)].

وقد يجد متعةً نفسيَّة، ولذَّة رُوحيَّة في الاعتمار في كلِّ رمضان، والحجِّ في كلِّ مَوْسم، ولو قيل له: ابذُلْ ما تُنفِقُه لإخوانك الذين يتعرَّضون للهلاك في فلسطين أو البوسنة أو كشمير، لم ينشرحْ لذلك صدرُه، وهو ما اعتبره الغزالي من «باب الغرور»[(٢)].

وقد ذهب أحد المُحسنِين من بعض البلاد الغنيَّة إلى بلدٍ إفريقي ليبني فيه مسجدًا، فلقيه بعضُ العقلاء من أهل البلد، واقترحوا عليه أن يرمِّم عددًا من المساجد القديمة الآيلة للسقوط، وهي في مناطق آهلة بالسُّكَّان، ولا يستغني النَّاس عنها، ويُمكنه أن يرمِّم عشَرةَ مساجد قديمة بما ينفقه على بناء مسجدٍ واحدٍ حديث، ولكنَّه أبى إلَّا أن يشيد مسجدًا يحمل اسمه الكريم!

---

(١) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: حديث صحيح. وابن حِبَّان في الصلح (٥٠٩٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤١٤)، عن أبي الدرداء.

(٢) انظر كتابنا: في فقه الأولويَّات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة صـ ١٦، ١٩، ١٣٦، ١٣٧، ٢٤٨، ٢٤٩، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

السَّلامة من آفة العُجب:

ومن تمـــام الإخلاص: ألَّا يُفسِـــد العملَ بعدَ تمامـــه بالإعجاب به، والاطمئنان إليه، والزَّهْو به، وهذا يُعمِيه عمَّا فيه من خللٍ قد شـــابه، أو دَخَلٍ أصابه، والشأن في المؤمن أن يكون بعد أداء العمل خائفًا أن يكون قد قصَّر فيه أو أخلَّ به من حيث يشعر أو لا يشعر، ولهذا يخشى ألَّا يُقبَلَ منه، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ومن الكلماتِ النيِّرة المنسوبةِ إلى الإمام عليٍّ كرَّم الله وجْهَه قولُه: سيئةٌ تَسُوءكَ خَيْرٌ عندَ الله من حسنةٍ تُعْجِبُك[١]!

أخذ هذا المعنى ابنُ عطاء الله السَّـــكَندري فـــي «حِكَمه» فقال: ربَّما فتح اللهُ لك بابَ الطَّاعةِ ومـــا فتح لك باب القَبُـــول، وربَّما قدَّر عليك المعصيةَ، فكانت سببًا في الوُصول. معصيةٌ أورثت ذلًّا وافتقارًا، خيرٌ من طاعةٍ أورثت عُجْبًا واستكبارًا[٢]!

ومن هنا حذَّر القرآنُ الكريمُ من اتِّباع الصدقةِ بالمَنِّ أو الأذى، خشيةَ أن يُبطِلَها ويضيع أثرَها.

يقول تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤].

كما حذَّر الرسولُ ﷺ من العُجْب وجَعَلَه من «المهلكات»، فروى عنه

---

(١) شـــرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٧٤/١٨)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية.

(٢) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق صـ ١٤٠، ١٤١.

QaradawiBooks.com

ابن عمر: «**ثلاثٌ مهلِكاتٌ، وثلاث مُنْجِيَاتٌ؛ فأمَّا المُهلِكات، فشُحٌّ مُطاعٌ، وهوًى متَّبَعٌ، وإعجابُ المرءُ بنَفْسِه**»(١).

وقد حكى لنا القرآنُ ما حدَث للمسلمين في غزوةِ حُنَيْن، فقد نصرهم اللهُ في بدرٍ وهم أذلَّة، ونصرهم في الخنـــدق بعد أن زاغت الأبصارُ، وبلغت القلوبُ الحناجرَ، وظنُّوا بالله الظُّنُون، وزُلْزِلوا زلزالًا شديدًا، ونصرهم في خيبر، وفي فتح مكَّة، ولكنَّهم في حُنَيْن أعجبتهم كثرتُهم، فلم تغنِ عنهم شيئًا، حتَّى رجعوا إلى الله، وعرفوا أنَّ النَّصر من عنده، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ...﴾ الآية [التوبة: ٢٥، ٢٦].

والمؤمن البصير هـــو الَّذي يَكِلُ أمرَه كلَّه إلـــى الله، فيوقن أنَّ النصر ليس إلَّا من عنده: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، وأنَّ العزَّ ليس إلَّا عنـــدَ بابِه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وأنَّ التَّوْفيـــق إلى الصَّالِحات ليس إلَّا مـــن فَضْلِه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]، والهداية ليســـت إلَّا منه: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

إذا لـــم يُعِنْـــكَ اللهُ فيمـــا تُريدُه ... فليـــس لمخلـــوقٍ إليكَ ســـبيلُ!
وإنْ هو لم يُرْشِدْكَ في كلِّ مَسْلَكٍ ... ضللْتَ ولو أن السَّـــمَاكَ دَلِيلُ(٢)!

---

(١) رواه البزَّار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوســـط (٥٤٥٢)، وحسَّـــنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس بن مالك.

(٢) من شـــعر أبي فراس الحمداني، كما في يتيمة الدهر للثعالبي (٨٤/١، ٨٥)، تحقيق د. مفيد محمد قمحية، نشـــر دار الكتب العلمية، بيـــروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، وهو في ديوانه (٣١٨/٢) بلفظ مقارب.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحذر من تزكية النَّفْس:

والقرآن يُحَذِّر من تزكية النَّفْس، بمعنى مدحها والثَّنَاء عليها، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [النجم: ٣٢].

وذمَّ اليهود والنَّصارى الذين زَكَّوْا أنفسهم، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٤٩].

وذلك أنَّهم قالوا كما حكى عنهم القرآن: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة: ١٨]، وردَّ عليهم بقوله: ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨].

ولا يجوز لمن يعمل الصالحات أن يذكرها بعد الفراغ منها، إلَّا تحديثًا بنعمة ربِّه عليه: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]، أو ليُرغِّب غَيْرَه فيقتدى به: «**مَنْ سنَّ سُنَّة حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عَمِلَ بها**»[1]، أو دفاعًا عن نفسه أمام اتِّهامٍ أُلصق به وهو منه بريءٌ، أو لغير ذلك من الأسباب الباعثة، وهذا مشروعٌ لمن قوي باطنُه في المعرفة بالله، وعدم الالتفات إلى ما سواه، وأمن على نفسه من تسـلُّلِ آفَتَيِ العُجب والرِّياء. ولم يكن قصده اكتسابَ مَحْمَدة النَّاس والمنزلة عندهم، وقَلَّ من يسلم من ذلك، والله المستعان.

فلْيَحْـذَرِ المسـلمُ من إعجابه بنفْسِـه، ومـا يُقدِّمه من حسـناتٍ وصالحات، واعتقادِه أنَّه وحدَه المُفْلِح، وغيره من الخاسـرين، أو أنَّه وجماعته هم «الفرقة الناجية»، وكلّ المسـلمين من الهالكين، أو أنَّهم وحدَهم «الطائفة المنصورة» وغيرهم من المخذولين!

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩٢٠٠)، عن جرير بن عبد الله.

إنَّ هذه النظرة إلى النَّفس هي «العجب المُهْلِك»، وتلك النظرةُ إلى المسلمين هي «الاحتقار المُرْدِي».

وفي الحديث الصحيح: «**إذا قال الرجل: هلك النَّاس، فهو أهلكهم**»[١].

رُوي الحديث بضمِّ الكاف وبفتحها، ومعنى الضم: أنَّه هو «أَهْلَكُهم»، بمعنى أسرعهم وأشدُّهم هلاكًا، لغروره بنفسه، وإعجابه بعمله، واحتقاره لغيره.

ومعنى الرواية بالفتح «أَهْلَكَهم»: أنَّه الذي تسبَّب هو وأمثاله في هلاكهم، بالاستعلاء عليهم، وتيئيسهم من رَوْح الله.

قال الإمام النووي: «وهذا النهي لمن قال ذلك عُجْبًا بنفسه، وتصاغُرًا للنَّاس، وارتفاعًا عليهم، فهذا هو الحرام، وأمَّا من قاله لِمَا يرى في النَّاسِ من نقصٍ في أمرِ دينِهم، وقاله تحزُّنًا عليهم وعلى الدِّين، فلا بأسَ به. هكذا فسَّره العلماءُ وفصَّلوه، وممَّن قاله من الأئمَّة الأعلام: مالك بن أنس، والخطَّابي، والحُمَيْدي، وآخرون»[٢].

وفي الحديث الصحيح الآخر: «**بحسْبِ امرئٍ من الشَّرِّ أن يَحْقِر أخاه المُسْلِمَ**»[٣]... فمن حقِّ المسلم على المسلم: ألَّا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقِرَه، وكيف يَحْقِرُ الإنسانُ أخاه، وهما فرعان من أصلٍ واحد؟

* * *

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٣)، وأحمد (٧٦٨٥)، عن أبي هُرَيْرة.

(٢) رياض الصالحين للنووي صـ ٤٥١، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباع

الفصل السادس

الطَّاعة والمعصية بين الكتمان والإظهار

الطَّاعة بين الكتمان والإظهار:

ينبغي على المؤمنِ السالكِ الطَّريقَ إلى الله تعالى: أن يجتهدَ في إخفاء طاعاتِه، وسترِ أعمالِه الصالحات عن أعيُنِ الخَلْقِ وآذانِهم ما استطاع، مكتفيًا بأنَّ الله تعالى يسمع ويرى، وأنَّ الخلقَ لا يملكون له ضَرًّا ولا نَفْعًا، وأنَّ رضوان الله تعالى ومثوبته فوق رضا الخَلْقِ وثنائهم.

وهذا بالنسبة إلى النَّوافل والتَّطَوُّعات، أمَّا الفرائضُ والأركانُ، فهذه يجب إظهارها، تعظيمًا لشعائر الإسلام، وإبرازًا لقوَّة تمسُّكِ المسلمين به، ومنعًا للتُّهمة وإساءة الظنَّ بالمسلم أن يُظَنَّ به تضييعُ ما فرض اللهُ عليه، وضربًا للمثلِ حتَّى يقتدي به غيرُه، ويتشبَّه به الآخرون، فإن الخير يُغري بالخير، والصلاح يدعو إلى الصلاح.

هذا هو الأصل في الفرائض: الإظهار والإعلان، أمَّا الأصلُ في النوافل فهو الإخفاءُ والكتمان.

ومع هذا يمكنُ أن تُظْهَرَ نوافلُ الطاعات والصالحات من المسلم من غير قصدٍ لإظهارها مراءاةً للناس، وقد يفرح بذلك ويبتهج، فرحَ الإنسانِ بكلِّ خيرٍ يحقِّقه لنفسِه.

QaradawiBooks.com

١ ـ وهو فرحٌ محمودٌ إذا كان شكرًا لله تعالى على نعمةِ التَّوْفيق للطَّاعة، وحُسْن لُطْفه سبحانه بإخفاء السَّـيِّئات وإظهارِ الحسنات، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

ومن أذكار الصَّالحين: سبحانَ من أظهرَ الجَمِيل، وستر القَبِيح!

٢ ـ وللتفاؤل بأن يفعل الله تعالـى معه ذلك في الآخرة كما فعله في الدنيا، أي يسترُ مساوِئَه، ويظهر محاسِنَه، كما في القولِ المأثور: «ما ستر اللهُ على عبدِه في الدُّنيا، إلَّا سَتَرَه عليه في الآخرة».

وفي معناه قال الشَّاعر:

كمـا أحسـنَ اللهُ فيما مضى كذلك يُحْسِـنُ فيما بَقِي[1]!

فيكون الفرح الأوَّلُ فرحًـا بالقبول في الحـال، من غير ملاحظة للاستقبال، والفرح الثَّاني التفاتًا إلى حال المآل، وحسنِ المنال[2].

٣ ـ وقد يكون فرحُـه بظهور الطَّاعة؛ لأنَّه سـيكون حافـزًا لغيره، ليقتدي به، ويحذو حذوه، فيكثر الصالحـون، ويزداد عددُ المطيعين لله تعالى، ويتَّسـع نطاقُ الخيرات، والأعمال الصالحات، فيتضاعف الأجر عند الله تعالى.

٤ ـ وقد يكون فرحُـه؛ لأنَّ المطَّلِعِين على عمله سـيحبُّونه في الله، ويرضَوْنَ عنه، ويُثْنُون عليه، وبهذا يُثابون على ذلك، ويدخلون في أوثق

(١) البيت في الديوان المنسـوب إلى الإمام علي بـن أبي طالـب صـ ١٠٤، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار ابن زيدون ومكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر: شرح كتاب عين العلم وزين الحلم للعلامة ملا علي القاري (٢/١٠٠ ـ ١٠١)، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

QaradawiBooks.com

عُرا الإيمان، فقد جاء في الحديث: «**أوثقُ عُرا الإيمانِ: الحبُّ في الله والبُغْضُ في الله**»[١]، وفي حديثِ أنسٍ المتَّفق عليه: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله...**» الحديث[٢].

ويعرف صدق هذه الدعوى ـ دعوى فرحه بإثابة النَّاس لحبِّهم له في الله، أو فرحه باقتدائهم به في عمله ـ إذا استوى عنده مدحُه ومدحُ غيرِه من الصالحين.

٥ ـ وممَّا يُحْمَدُ لأجله إظهارُ العمل الصالح: ترغيبُ الآخرين فيه، وسنُّ السُّنَّة الحسنة ليُقتدى بها فيُهتدى، وفي «صحيح مسلم» من حديث جَرِير بن عبد الله: «**مَنْ سنَّ سُنَّةً حسنة، فله أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة، من غيرِ أن ينقُصَ من أجورهم شيءٌ**»[٣].

وقد أمر الأنبياء والرسل بالإظهار للطَّاعات؛ لأنَّ اللهَ تعالى جعلهم أُسْوَةً لأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومثلُ الأنبياء: خلفاؤهم وورثتهم من العلماء والدعاة والصلحاء، من كلِّ من يُقتدى به.

وقال الحسن: قد علم المسلمون أنَّ السرَّ أحرزُ العَمَلَيْن، ولكنْ في الإظهار أيضًا قد تكون الفائدة[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٠.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٠.

(٣) سبق تخريجه صـ٩٩.

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٣١٧).

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فلذا أثنى الله على السر والعلانية، فقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: تصدَّقتُ بدرهمٍ في ليلٍ وآخرَ في نهارٍ، وبدرهمٍ سرًّا، وآخرَ علانيةً، عملًا بالآية[(١)].

وبهذا يكون قد عبد الله في كلِّ الأوقات، وعلى كلِّ الأحوال، وإن كان الإسرار بالصدقة أفضل، وخصوصًا إذا خشي على نفسه الرِّياء، والفتنة بمَحْمَدة النَّاس، أو كان في الإسرار رعايةٌ لحُرْمة الفقير، وحفظ لكرامته، لا سيَّما إنْ كان من المستورين المتعفِّفين، الذين وصفهم القرآن بقوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وفي حديث أبي هُرَيْرة المتفق عليه عن السبعة الذين يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظله، ذكر أحد الأصناف، وهو: «**رجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها، حتَّى لا تعلمَ شمالُه ما أنفقت يمينُه**»[(٢)].

وهذا هو المقام الأعلى، ولكنْ إذا أبدى الصَّدَقة، أو أظهر العمل الصالح، لسببٍ من الأسباب التي ذكرناها من قبل، فلا حرج عليه، والواجب عليه أن يفتِّش عن دخيلةِ نَفْسِه، ويحترس من خداعها، فإنَّها أمَّارة بالسوء، خدَّاعة غرَّارة، وليحذر ما استطاع من الرِّياء، فربَّما كان هناك

(١) رواه الطبراني (٩٧/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٨٨٤): رواه الطبراني، وفيه عبد الواحد بن مجاهد وهو ضعيف. عن ابن عبَّاس.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

رياء في غاية الخفاء، يتسلَّل إليه، وهو لا يشعر، فيحبطُ عملُه، وهو يحسب أنَّه يُحْسِنُ صنعًا، وهنا لا بدَّ له من الاستعانة بالله ﷻ، والبراءة من الحَوْل والقُوَّة، واللجوء إلى حَوْل الله سبحانه وقوته، ومن الدعاء المأثور: «**اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك أن نُشْرِكَ بك شيئًا نعلمُه، ونستغفرُك لِمَا لا نعلمُه**»[(١)].

كتمان الذُّنوب:

وإذا كان الشَّـرع قد جاء بالرُّخْصة في إظهـار الطَّاعات، وخصوصًا الفرائض، بل والنوافل في بعض الأحيان، لتحقيق أهدافٍ ذكرناها، فإنَّه لم يشـرع إظهار المعاصي والإعلان عنها، بل أمـر بإخفائها إن وقعت، وكتمانها عن الغير ما استطاع، لا مراءاة للنَّاس، ولا طلبًا لثنائهم، وظهورًا بصورةٍ يحبُّونها، وإن كانت غير صورته الحقيقية.

بل إنَّما يُحمَد كتمانُ الذنوب، وكراهـة إطلاع النَّاس على العيوب، لعدَّة أسبابٍ:

أولًا: لأنَّنا مأمـورون أنَّنا إذا ابتُلينا بمعاصي اللهِ أن نسـتتر بسـتره سبحانه، ولا نفضح أنفسنا، وفي الحديث: «**اجتنبُوا هذه القاذورات الَّتي نهى الله عنها، فمن ألمَّ بشيءٍ منها، فلْيَسْتَتِرْ بسترِ اللهِ تعالى**»[(٢)].

من أجل هذا يَكْره ظهور المعصية من غيره، كما يكرهها من نفسه، وفي «الصحيح»: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه**»[(٣)]، ومفهومه: أن يكره له ما يكره لنفسِه.

---

(١) سبق تخريجه صـ٧.

(٢) رواه الحاكم في التوبة (٢٤٤/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وقال العراقي في تخريج الإحياء صـ ١٠٣٠: إسناده حسن. عن ابن عمر.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

وثانيًا: للتَّحامي عن هتك ستره، وظهور أمره، خوفًا من سقوط وقع المعاصي من النَّفْس، وجُرْأَتها عليها، فإنَّ النَّفْس متى أَلِفَتْ ظهورَ الذُّنُوب، زاد انهماكها فيها، واسترسلت في شهواتها بارتكابها، ولم تُبَالِ باجتنابها.

وهذا الخوف من هتْك السِّتر في الدُّنيا يتبعُه خوفٌ من الهَتْك في الآخرة، وهو أشدُّ وأخزى. ولهذا يقول الطيِّبون: اللهمَّ كما سترت علينا في الدُّنْيا، استرْ علينا في الآخرة، ولا تفضحنا على رؤوس الأشهاد، يوم العرض عليك.

وثالثًا: لئلَّا يقلِّدَه غيرُه، فيكون سببًا في انتشار معاصي الله في الأرض، وتجرُّؤ النَّاس عليها، فحسْبُه أن يتورَّط هو في المعصية، ويسألَ اللهَ التوبةَ والمغفرة، ولكن لا يظهرها، فتشيع وتتَّسع، فإنَّها تُعْدي كما يُعدي الأجربُ السليم، وتؤذي كما يؤذي نافخُ الكِير جارَه، فإذا غَرِق هو، فهو يكرهُ أنْ يغرقَ غيرُه معه.

ولهذا ينبغي للعاصي أن يُخْفي معصيَتَه حتَّى عن أقربِ النَّاسِ إليه، مثل أهلِه وولدِه وخادمِه، حتَّى لا يتأسَّوْا به.

ورابعًا: ليكون في مَظنَّة العفوِ والمعافاةِ من الله تعالى، ولا يدخل في زُمْرة المتبجِّحِين المجاهرين بالسوء، المتفاخرين بما ارتكبوا من موبقات، وما اصطنعوا من مغامرات، وفي «الصحيحين» من حديث أبي هُرَيْرة: «**كلُّ أُمَّتي معافًى إلَّا المجاهرين، وإنَّ من المَجَانَةِ أن يعملَ الرجلُ باللَّيل عملًا، ثمَّ يُصبحَ وقد ستره الله، فيقول: يا فلانُ، عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يسترُه ربُّه، ويصبحُ يكشفُ ستر اللهِ عنه**»[(١)].

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٩)، ومسلم في الزهد (٢٩٩٠)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

وخامسًا: ليكونَ من أهـل الحياء، الذين يمنعهم حياؤهم وسـلامةُ طبعِهم من إظهـار المعصيـة، وفي «الصحيحيـن» عن ابـن عمر: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مرَّ على رجلٍ من الأنصار، وهو يعظُ أخاه في الحياء. فقال: «**دعْه؛ فإنَّ الحياءَ من الإيمانِ**»[١].

وفيهما عن أبي هُرَيْرة: «**الإيمانُ بضعٌ وسـتُّون شُعْبة، والحياءُ شُعْبة من الإيمان**»[٢].

وفيهما عن عِمْران بن حُصَيْنٍ: «**الحياءُ لا يأتي إلَّا بخيرٍ**»[٣].

وسادسًا: ليدخلَ في زمرة المشهود لهم من الأُمَّة بالخير، والنَّاسُ شهداءُ اللهِ في الأرض، وكما قيل: ألسنة الخلقِ أقلام الحقِّ، وكما قال النبيُّ ﷺ للصَّحابة في جنازة مرَّت فأثنَوْا عليها خيرًا، فقال: «**وجبت**»، وأخرى أثْنَوا عليها شـرًّا، فقـال: «**وجبت**»، فقـال عمرُ بن الخطاب: ما وجبت؟ قال: «**هذا أثنيتم عليه خيرًا، فوجبتْ له الجنَّة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا، فوجبت له النَّار، أنتم شهداءُ اللهِ في الأرض**»[٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما من مسـلمٍ يموتُ يشـهد له أهلُ أربعةِ أبياتٍ من جيرانه الأدنَيْنِ: إنَّهم لا يعلمون إلَّا خيرًا، إلَّا قال الله: قد قبلتُ عِلْمَكم فيه، وغفرتُ له ما لا تعلمون**»[٥].

---

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦)، كلاهما في الإيمان.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٧)، ومسلم في الإيمان (٣٧).

(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، كلاهما في الجنائز، عن أنس.

(٥) رواه أحمد (١٣٥٤١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الجنائز (٣٧٨/١)، وصحَّح إسناده على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأبو يعلى (٣٤٨١)، وابن حِبَّان في الجنائز (٣٠٢٦)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح بشـواهده. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥١٥): حسن لغيره.

QaradawiBooks.com

وسابعًا: لئلَّا يتسبَّب في ذمِّ النَّاس له، فيقعوا في المعصية بسبب هذا الذمِّ، أو بتجاوزهم الحدَّ، حتَّى يُذَمَّ بما ليس فيه، أو بأكثر ممَّا فعل، كما هو المعتاد في مثل هـذه المواقف، وهو لا يُحِبُّ أن يُعصى الله تعالى بسببه، ويكفيه ما ابتُلِيَ به من معصية، وهو لهذا يتألَّم إذا ذمَّ النَّاسُ غيرَه من العُصَاة كما يتألَّم لذمِّ نفسِه.

وثامنًا: لئلَّا يتألَّمَ بذمِّ النَّاس إذا اطَّلعوا على معصيته، فإنَّ الذمَّ مؤلمٌ للقلب، وهذا أمرٌ جِبِلِّي فُطِرَ عليه الإنسان، كما أنَّ الضرب يؤلم الجوارح بالطبع، وربَّما صار هذا التألُّمُ ـ وخصوصًا إذا استمرَّ واشتدَّ ـ مانعًا من الخشوع في العبادة، بسبب الانفعال والتوتُّر الناشئ عن تألُّمه.

ولا جناح على المسلم أن يبتعد ويهرب من كلِّ ما يؤلم جسده أو قلبه، فليس هذا بحرام.

وإن كان المقام الأعلى أن تزول عنه رؤية الخلْق، فيستوي عنده ذامُّه ومادحُه، لعلمه أنَّ الأمر كلَّه بيدِ الله تعالى، وأنَّه هو الضارُّ النافع، وأن العباد كلَّهم مقهورون تحت سلطانه، روى الترمذيُّ من حديث البراء بن عازب وحسَّنه: أنَّ رجلًا قام فقال: يا رسول الله، إنَّ حمدي زَيْنٌ، وإنَّ ذمِّي شَيْنٌ! فقال ﷺ: «**ذاك اللهُ تعالى**»[1].

وتاسعًا: لخوفه أن يُقْصَد بسوء أو أذًى إذا ظهرت معصيتُه، وهذا أمرٌ وراء الذَّمِّ؛ فإنَّ الذَّمَّ مكروهٌ من حيث يشعر القلبُ بنقصانِه، وإن كان ممَّن يؤمَنُ شرُّه، وهنا يخاف شرَّ مَنْ يطَّلعُ على ذنبِه، ولا حرجَ على المسلمِ أن يجنِّب نفسَه الأذى بتجنُّبِ أسبابِه ما استطاع.

(١) رواه الترمذي (٣٢٦٧)، والنَّسائي في الكبرى (١١٤٥١)، كلاهما في التفسير.

QaradawiBooks.com

حبُّ محبة النَّاس:

ولا جناح على المسلم إذا كان يحبُّ من النَّاس أن يحبُّوه ويوادُّوه، فهذا أمر فطريٌّ في الإنسان: أن يُحِبَّ ويُحَبَّ.

ومن ناحية أخرى، هو يرجو أن تكون محبَّة النَّاس، ولا سيما أهل الخير منهم، دليلًا على محبَّة الله تعالى، فهو الَّذي وَضَعَ له القَبُول في قلوب عباده، وستر قبيحَه، وأظهرَ جميلَه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦]، فهو يرجو أن يكون منهم، فإنَّ من أحبَّه تعالى جعله محبوبًا في قلوبهم.

وقال ﷺ: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدًا نادى جبريلَ، فقال: إنَّ الله قد أحبَّ فلانًا، فأحبَّه! فيحبُّه جبريلُ، ثمَّ ينادي جبريلُ في أهل السماء: إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا، فأحِبُّوهَ فيحبُّه أهل السماء، ثمَّ يوضعُ له القَبُول في الأرض**»[(١)].

وأرفعُ من هذا المقام: أن يكونَ أكبرُ همِّه حُبَّ اللهِ تعالى، ورضاه سبحانه عنه، ولا يُبالي أَرَضِيَ الخلْقُ عنه أم سخطوا، أحبُّوا أم كرهوا، على حدِّ قول القائل:

إذا صحَّ منكَ الوُدُّ فالكُلُّ هيِّنٌ وكلُّ الَّذِي فوقَ التُّرَابِ تُرَابُ![(٢)]

وإذا تعلَّق قلبُه بحبِّ بعض النَّاس، فلأنَّهم أحبابُ الله تعالى كالَّذين وصفَهم اللهُ تعالى بقوله: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]

وفي الأدعية المأثورة: «**اللهمَّ إني أسألُك حبَّكَ، وحبَّ من يُحِبُّك**»[(٣)].

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٠٩)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٧)، عن أبي هُرَيْرة.
(٢) ديوان أبي فراس الحمداني (٢/٢٤، ٢٥).
(٣) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٩٠)، وقال: حسن غريب. والبزَّار (٤٠٨٩)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

الفصل السابع

ضرورة الإخلاص لحَمَلة الدَّعوة

لماذا كان الإخلاص ضرورة؟

إنَّ العمل لسيادة الإسلام وعودته لقيادة الحياة بعقيدته وشريعته وأخلاقه وحضارته، إنَّما هو عبادةٌ وقُربة إلى الله تعالى من ناحية، وجهاد في سبيل الله من ناحية أخرى.

وتجريد النِّيَّة لله في هذه العبادة وذلك الجهاد: أمر أساسي لقبول العمل ولنجاحه معًا، فالنيَّة المدخولة تُفسد العمل، وتلوث النفس، وتضعف الصف، وتحبط الأجر.

والنيَّة الصالحة، تصلح العمل، وتقوي العزم، وتفسح الطَّريق، وتعين على إزالة العقبات، قال تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، فدل على أهمية الإرادة والنيَّة في إنجاز المهمَّة المنشودة، فهي سببُ توفيق الله تعالى وتأييده.

وقد كتب سالمُ بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز ناصحًا له، فقال: اعلم أنَّ عون الله تعالى للعبد على قدر النيَّة، فمن تمَّت نيَّته تمَّ عون الله له، ومن نقصت نيَّته نقص قدره[1].

(١) إحياء علوم الدين (٣٦٤/٤).

QaradawiBooks.com

ولهذا السرِّ بدأ الإمام البخاري كتابَه «الجامع الصحيح»، بهذا الحديث الذي عدَّه بعضُ العلماء ربعَ الإسلام أو ثلثَه: «**إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى اللهِ ورسولِه فهجرتُه إلى اللهِ ورسولِه، ومن كانت هجرتُه لدنيا يصيبها، أو امرأةٍ ينكِحُها، فهجرتُه إلى ما هاجر إليه**»[(١)].

وقد رُوِيَ أنَّ رجلًا هاجر إلى المدينة من أجل امرأة يحبُّها، ويريد أن يتزوَّجها تُسَمَّى أمَّ قَيْس فنُسِبَ إليها وقيل له: «مُهاجِرُ أمِّ قَيْس»[(٢)].

إنَّ على المسلم العامل للإسلام أن يفتِّشَ في زوايا قلبِه عن حقيقةِ نواياه وبواعثه، فإن كان فيها حظٌّ للدُّنيا أو للشَّيطان، جاهدَ أن ينقِّيَ قلبُه من دَخَلِه، وأن يجرِّد نيَّته لله، وأن يَنْذُر نفسه محرَّرًا لربِّه، كما قالت امرأةُ عمران: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥]. وهذه الكلمة من أم مريم: ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ توحي بأنَّ سُنَّة الله ألَّا يقبلَ من العملِ إلَّا ما كان خالصًا من كلِّ شِرْكة، محرَّرًا من كلِّ عبوديةٍ لغيره.

إنَّ الحياة لا يسود فيها الحقُّ، ويُنشر الخيرُ، وتعلو كلمةُ الإيمان، وتخفقُ أعلام الفَضِيلة؛ بتُجَّار المبادئ الذين لا يعملون إلَّا ليغنموا ويستفيدوا في الدنيا، ولا بالمرائين الذين لا يعملون إلَّا ليراهم النَّاس، ويسمعوا بهم، ويتحدَّثوا عنهم، ويشيروا إليهم بالبَنَان، بل ينتصرُ الحقُّ والخير والإيمان والفضِيلة: بالمُخْلِصين الذين يعتنقون المبادئ مؤثِّرين مستأثرين مضحِّين لا مستفيدين، مُعْطِين لا آخِذِين.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٢.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٣، وفيه: «من هاجر يبتغي شيئًا من الدنيا».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المخلصون هم جند الدعوات:

إنَّ المخلصين الذين يبتغون بعملِهم وجهَ الله، يَسْمُون فوق المنافع الذاتيَّة والمصالح الشَّخصيَّة، هم وحدهم جندُ الدَّعوات، وحَمَلة الرِّسَالات، وورثة النُّبُوَّات، وهم الذين ينتصرون بالدَّعوة، وتنتصر بهم، ولو كانوا فقراءَ المال، ضعفاء الجاه، مغمورين في النَّاس، وهم الذين جاء فيهم الحديث الشَّريف: «**رُبَّ أشعثَ مدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على اللهِ لأبرَّه**»(١).

وقد روى النَّسائي وغيره عن سعد بن أبي وقَّاص ـ هو مَنْ هو سبقًا في الإسلام وقَرَابة من رسول الله ﷺ ـ أنَّه ظنَّ في نفسه يومًا أنَّ له فضلًا على من دونه من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّما ينصر الله هذه الأُمَّة بضعيفها: بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»(٢).

وهؤلاء الضعفاء المغمورون المخلصون، هم الذين أمر الله رسوله أن يصبر نفسه معهم، ولا يفرط في واحد منهم، ولا تعدو عيناه عنهم، إلى الشَّخصيات المرموقة في المجتمع، من ذوي المكانة والثراء والجاه، ممَّن يظنُّ أنَّهم ينصرون دعوته بجاههم ومنزلتهم في النَّاس، يقول سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

إنَّ جنديَّ العقيدة لا يجري وراء المطامع، ولا يَخْطِف بصرَه بريقُ الشُّهرة، ولا يجذب قلبَه سطوةُ الجاه والنُّفُوذ، إنَّ الدُّنيا ليست أكبرَ همِّه

(١) سبق تخريجه صـ٥١.

(٢) رواه النَّسائي في الجهاد (٣١٧٨)، وصحَّحه الأشبيلي في الأحكام الصغرى (٥٣٨/٢)، والألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٨).

QaradawiBooks.com

ولا مبلغَ علمه، إنَّه يُنْزِلها مَنْزِلَتَها، فلا تــزنُ عنده جَنَاحَ بعوضةٍ عندَ الله تعالى، إنَّ أكبرَ همِّه أنْ يتقبَّله الله في عباده الصالحين، وجنده الصادقين، وحزبه المفلحين.

إنَّ وضوح هذا الهدف أمرٌ ضروري للعاملين لنصرة الإســلام، فقد يكون هدفهــم إقامة دولةٍ إســلاميةٍ، أو حضــارةٍ إســلامية، أو مجتمعٍ إسلاميٍّ، أو نحو ذلك من الأهداف التي يسعون إليها، ويحرصون على تحقيقها، ولكن هدف الأهداف، وغاية الغايات من وراء ذلك كله، هو: رضوان الله تعالــى وابتغاء ما عنــده، ومن أجل ذلك يســتمرئون المُرَّ، ويسترخصون كلَّ تضحية ما دامت في سبيل الله.

خطر الطُّفَيْلِيِّين:

وعلى رجال الدَّعَــوات أن يحذروا علــى صفوفهم مــن الطُّفيْلِيِّين الطامحين الطامعيــن، الذين يتســلَّلون إلى الجماعات المؤمنة تســلُّل الميكروبات إلى الجســم الســليم، ويتســلَّقُون على أكتاف الآخرين، كلامُهم كثير، وعملُهم قليل، يَقِلُّون عند الفــزع، ويكثرون عند الطمع، حتَّى تكشفهم المحن، ويميز الله الخبيث من الطيِّب.

أجل، إنَّ شر ما تُصاب به الدعوات الربَّانِيَّة هم أولئك المحتالون، الذين يتَّخذونها قنطرةً إلى مآربهم، وسُلَّمًا إلى مطامعهم، متظاهرين بالتَّقوى، متوسِّلين بالقول المعسول، والحماس المفتعل، والملمس الناعم، وباطنهم خراب، وقلوبهم هَوَاء! هؤلاء هم الذين حذَّر منهم رسول الله ﷺ حين قال: «**يخرجُ في آخرِ الزَّمَانِ رجالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنيا بالدِّين، يلبســون للنَّاس جُلُودَ الضأْنِ من اللِّينِ، ألســنتهم أحلى من السُّكَّر، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أَبِي يغترُّون أم عليَّ**

QaradawiBooks.com

يجترئون؟ فبي حلفتُ: لأبعثَنَّ على أولئك منهم فتنةً تدعُ الحليمَ منهم حيرانًا»[١].

صنفان متمايزان:

ولقد قسم النبيُّ ﷺ النَّاس إلى صِنْفين متمايزين متباينَيْن: صنف يعيش لنفسه وشهواته، عبدًا للمال والزِّينة والأُبَّهَة، يسيرُ وراءَ مصلحتِه وشهوتِه أنَّى سارت، فإنْ تحقَّقت رَضِيَ وأثنى، وإلا ذمَّ وسَخِط.

وصنف يعيشُ للحقِّ وحدَه، مستعدًّا للجهاد والبذل، غير منتظِرٍ منفعةً ولا شهرةٍ، حيث وُضِعَ عَمِلَ وأنتج، دونَ ضجيجٍ ولا مباهاة.

في هذين الصِّنْفين جاء الحديث الصحيح: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينار، وعبدُ الدِّرْهم، وعبدُ الخَمِيصة، إن أُعْطِيَ رضي، وإن لم يُعْط سَخِطَ، تَعِسَ وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش! طوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنَان فَرَسِه في سبيلِ الله، أشعثَ رأسُه، مغبرَّةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في السَّاقَة كان في السَّاقَة، إن استأذن لم يؤذَنْ له، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ**»[٢].

* * *

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٤٠٤)، وابن المبارك في الزهد والرقائق (٥٠)، ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١١٤٠)، عن أبي هُرَيْرة. وله شاهد مختصرًا من حديث ابن عمر رواه الترمذي في الزهد (٢٤٠٥)، وقال: هو حسن غريب.

(٢) سبق تخريجه صـ٩١.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الثامن

من ثمرات الإخلاص

للإخلاص ثمرات طيبة في النَّفس والحياة نجملها فيما يلي:

السكينة النفسية:

١ ـ فهو يمنح صاحبه سكينة نفسية، وطمأنينة قلبية، تجعله منشَرِحَ الصَّدْر، مستريحَ الفؤاد، فقد اجتمع قلبُه على غاية واحدة، هي رضا الله تعالى، وانحصرت همومُه في همٍّ واحد، هو سلوكُ الطَّريق الذي يوصل إلى مرضاته، ولا ريب أنَّ وضوح الغاية، واستقامة الطَّريق إليها: يريح الإنسان من البلبلة والاضطراب بين الاتجاهات، وتنازع الرغبات، وتعدد السبل.

وقد ضرب اللهُ مثلًا للمؤمن الموحِّد بالعبد الذي له سيِّد واحد، عرف ما يُرضيه وما يُسخِطه، فجعل كلَّ همِّه في إرضائه، واتِّباع ما يحبُّه وللمشرِك بالعبد الذي يملكه شركاء متشاكسون، كلٌّ واحد يأمره بخلاف ما يأمره به الآخر، وكلٌّ يريد منه غيرَ ما يريد صاحبه، فهمُّه شَعَاعٌ، وقلبُه أَوزاعٌ، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

ومعنى سَلَمًا له: أي خالصًا له لا يشاركه فيه أحدٌ.

وبهذا تحرَّر الإنسانُ المؤمنُ ـ بإخلاصه العبودية لله ـ من تعاسة العبوديَّة لغيره: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينار، وعبدُ الدِّرهم، وعبدُ القَطِيفة**» وسَعِدَ بالعبودية لله وحدَه.

لقد جمع همومه في همٍّ واحدٍ هو رضوان الله تعالى، وجعل نيَّتَه وقصدَه في الآخرة، فهان عليه كلُّ ما يلقى في هذه الدنيا.

يقول الرسول ﷺ: «**من جعل الهموم همًّا واحدًا، كفاه الله همَّ دُنياه، ومن تشعَّبَتْه الهموم، لم يبالِ اللهُ في أيِّ أودية الدُّنيا هلك**»(١).

ومعنى: تشعَّبته الهموم: توزَّعته وتقسَّمت قلبَه وإرادتَه بين المال والجاه والشهوات وما أكثرها، بخلاف المؤمن الذي ركَّز كلَّ همِّه في إرضاء ربه.

ويقول ﷺ: «**من كانت الدُّنيا همَّه، فرَّق اللهُ عليه أمرَه، وجعل فَقْره بين عَيْنَيْه، ولم يأتِه من الدُّنيا إلَّا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتُه، جمع اللهُ له أمرَه، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدُّنْيا، وهي راغمة**»(٢).

القوَّة الرُّوحيَّة:

٢ ـ والإخلاص يمنح المُخْلِصَ قوَّة رُوحية هائلة، مستمدَّة من سموِّ الغاية التي أخلص لها نفسَه، وحرَّر لها إرادته، وهو رضا اللهِ ومثوبتِه.

فإنَّ الطامعَ في مالٍ أو منصبٍ أو لقبٍ أو زعامة ضعيفٌ كلَّ الضعف، إذا لاح له بادرةُ أمل في تحقيق ما يطمع فيه من دنيا، ضعيف

(١) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٠٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٤)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٢١٥٩٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤١٠٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٩٠)، عن زيد بن ثابت.

QaradawiBooks.com

أمام الذين يملكون إعطاءه ما يطمح إليه، ضعيف إذا خاف فوات مغنَم يرجوه، أمَّا الذي باعها لله، فهو موصول بالقوَّة التي لا تضعف، والقدرة التي لا تعجِز، ولهذا كان في تجرُّده وإخلاصه أقوى من كلِّ قوَّة ماديَّة يراها النَّاس.

وقد صوَّر حديثٌ رواه الترمذي بسند ضعيفٍ مقدارَ القوَّة الرُّوحية الهائلة، التي يملكها من أخلص قلبه لله، يقول الحديث الذي رواه أنس بن مالك: «**لمَّا خلق اللهُ الأرضَ جعلتْ تميدُ، فخلق الجبال، فألقاها عليها، فاستقرَّت، فعَجبَت الملائكةُ من خَلْقِ الجبال، فقالت: يا ربُّ، هل من خلقك شيءٌ أشدُّ من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. قالت: يا ربُّ، هل من خلقك شيء أشدُّ من الحديد؟ قال: نعم، النَّار. قالت: يا ربِّ، هل من خلقك شيءٌ أشدُّ من النار؟ قال: نعم، الماء. قالت: يا ربِّ، هل من خلقك شيءٌ أشدُّ من الماء؟ قال: نعم، الرِّيح. قالت: يا ربِّ، هل من خلقك شيءٌ أشدُّ من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدَّق بيَمِينه ويُخفيها عن شماله**»[1].

وهكذا يصوِّر لنا هذا الحديث أنَّ القوة الرُّوحيَّة أعظم من كلِّ القُوى الماديَّة، وأنَّ قوَّة الإيمان والإخلاص تفوق قوَّة الجبال التي تمسك الأرض أن تميد، وقوة الحديد الذي يقطع الجبال، وقوة النَّار التي تذيب الحديد، وقوة الماء الذي يطفئ النَّار، وقوة الرِّيح التي تحرِّك الماء، أقوى من ذلك كلِّه قلبُ ابنِ آدم حينَ يُخْلِص لله، فيتصدَّق بيمينه، فلا تعلم بها شماله.

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٣٦٩)، وقال: حديث غريب. وأحمد (١٢٢٥٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٤٣١٠)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترغيب (٤٧٧٠).

QaradawiBooks.com

وهو تصويرٌ نبويٌّ بليغ معبِّر عن اجتهاده في إخفاء صدقته بعدًا عن مظنَّة مراءاة النَّاس.

وذكر الغزالي في «الإحياء» قصة ترمز إلى هذا المعنى، وهو: ما يمنحه الإخلاص من قوَّة غير عادية لصاحبه، لا توجد عند غيره.

إنَّها قصة العابد الذي سمع أنَّ شجرة يعبدها النَّاس من دون الله، فحمل فأسَه، وذهب مصمِّمًا على أن يقطعَها، ويقطعَ معها دابرَ فتنةِ تقديسها وعبادتها، وفي الطَّريق قابله إبليس، فأراد أن يُثْنِيَه فأبى، فتصارعا، فصرع العابدُ إبليس، وبدا كأنَّه ريشةٌ في يده، وهنا بدأ إبليسُ في مفاوضةٍ ماكرةٍ مع العابد: أن يعودَ ويَدَعَ الشَّجرة، فإنَّ قطعها لا يفيد، فقد يعبدون شجرةً أخرى، وتعهَّد أن يُعْطِيَه كلَّ يومٍ دينارًا، يجده تحت وسادته، فينتفع به، وينفق منه على المساكين. ومازال إبليسُ بالرجل، حتَّى اقتنع، وسلَّمه مبلغًا مقدَّمًا، ثمَّ ظل مدة يتسلَّم فيها الدينار كُلَّ صباحٍ وَفْقَ ما اتَّفقا عليه.

ولكنَّ العابدَ فوجئ يومًا بأنَّه لم يجد الدينار تحت الوسادة، كما اعتاد، فصبر عدَّةَ أيامٍ، لعلَّ صاحبَه يفي له بما وعده، بيد أنَّه لم يفعل، فما كان من العابد إلَّا أن حمل فأسه، وذهب ليقطع الشَّجرة من جديد، فقابله إبليس، فتحدَّاه، وتنازعا واصطرعا، فصرع إبليسُ الرجلَ هذه المرَّة، وكان كأنَّه عصفورٌ بين رِجْلَيْه!

وهنا سأله العابد: ما الذي جعله يغلبه هذه المرَّة، بعدَ أن انتصر على إبليس بجدارةٍ في المرَّة الأولى؟ وهنا قال له إبليس: لقد كان غضبُك في المرَّة الأولى لله، فكان لديك من القوَّة ما لم يكن لي قِبَلٌ بها، ولا طاقةٌ لمواجهته، فهُزِمْتُ أمامك بسرعة. أما هذه المرَّة فكان غضبُك

غير مرخصة للطباعة

لانقطاع الدينار، فلم يكن عندك من القوَّة ما كان من قبل، وهُزِمْتَ أمامي بسرعة البرق[١].

وهنا ظهر الفرق بين الغضب للدِّرهم والدينار، والغضب للواحد القهَّار.

إنَّ المخلص لله لا يلين للوعد، ولا ينحني للوعيد، لا يُذِلُّه طمع، ولا يُثْنِيه خوف، أسوته في ذلك النبيُّ ﷺ الذي عُرِض عليه المُلْك والشَّرَف والمال وسائرُ أعراض الدُّنيا ليكفَّ عن دعوته، فقال في إصرار وصلابة: «**واللهِ لو وضعوا الشَّمسَ في يميني، والقمرَ في شمالي، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتَّى يُظهِره اللهُ أو أَهلِكَ دونَه**»[٢].

فلو كان للنبيِّ ﷺ شهوةٌ خفيَّة في مالٍ أو ملك أو سيادة لضعُفتْ مقاومته أمام العروض المغرية، يُقدِّمها له سادةُ قُرَيْش، لكنَّه عرف غايتَه، فأخلص لها، وعرف ربَّه فلم يُشرِكْ به شيئًا.

الاستمرار في العمل:

٣ ـ ومن آثار الإخلاص: أنَّه يمدُّ العاملَ بقوَّة الاستمرار، فإنَّ الذي يعمل للنَّاس، والَّذي يعملُ لشهوة البطن أو الفَرْج، يكفُّ إذا لم يجدْ ما يُشبِع شهوته، والذي يعمل أملًا في شُهرة أو منصب، يتراخى ويتثاقل إذا لاح له أنَّ أملَه بعيدُ المنال، والذي يعمل لوجهِ الرَّئيس أو الأمير، ينقطعُ أو يتوانى إذا عُزِل الرئيسُ أو مات الأمير.

(١) إحياء علوم الدين (٣٧٧/٤).

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٣٢٦/٢)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٩٠٩)، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس.

QaradawiBooks.com

أمَّا الذي يعمل لله فلا ينقطعُ ولا ينثني ولا يسترخي أبدًا؛ لأنَّ الذي يعمل له لا يغيب ولا يزول، فوجه اللهِ باقٍ إذا غابت وجوهُ البشر، أو هلك الخلق كلُّ الخلق: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. ولهذا قال الصالحون: ما كان لله دام واتَّصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل! وهذا ما صدَّقه الواقع، وما رأيناه ولمسناه، ولا زلنا نراه ونلمسُه في كلِّ زمانٍ ومكان.

تحويل المباحات والعاديات إلى عبادات:

٤ ـ والإخلاص هو «إكسير» الأعمال، الذي إذا وضع على أيِّ عمل ولو كان من المباحات والعادات حوله إلى عبادة وقربة لله تعالى، وفي الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال لسعد: «**إنَّك ما تُنفِقُ نفقةً تبغي بها وجهَ الله تعالى إلَّا أُثِبْتَ عليها، حتَّى اللقمة تضعُها فِي فِي (أي فم) امرأتِك**»[(١)].

وقال تعالى في شأن الذين يجاهدون في سبيله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠، ١٢١].

فجعل جوعَهم وعطشَهم ومشيَهم ونفقتَهم ممَّا يُسجَّل لهم في رصيد حسناتهم عند الله تعالى، ما دام ذلك في سبيل الله، ولن تكون هذه الأشياء في سبيل الله إذا أدَّاها المسلم لتكون كلمة الله هي العليا.

---

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٥)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

وأكثر من ذلك ما جاء في مثوبة من ارتبط فرسًا ليجاهد عليها في سبيل الله.

ففي «الصحيحين» عن أبي هُرَيْرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من احْتَبَس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده، فإن شِبَعه ورِيَّه، ورَوْثَه وبَوْلَه، في ميزانه يوم القيامة**»(١). يعني: حسنات!

وذلك أنَّ الوسائل والآلات بحسَب المقاصد والغايات، فكلُّ ما يُعين على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته، ونصرة دعوته، من عُدَّة وآلةٍ وتدريبٍ وكسبِ خبرةٍ ومهارة، فهو قُرْبة إلى الله، فبها الأجرُ والثَّواب.

إحراز ثواب العمل وإن لم يتمَّه أو لم يعملْه:

٥ ـ ومن بركات الإخلاص لله: أنَّ المخلصَ يستطيعُ أن يحرزَ ثوابَ العمل كاملًا، وإن لم يقدر على إتمامه بالفعل. لنستمعْ إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

بل يستطيع المسلم بنيَّته الخالصة لله أن يدرك ثواب العمل كاملًا، وإن لم يؤدِّه ولم يشرعْ فيه، ولهذا أمثلة كثيرة جاءت بها الأحاديث.

روى البخاري عن أنس بن مالك قال: رجعنا من غزوة تبوكَ مع النبيِّ ﷺ، فقال: «**إنَّ أقوامًا خَلْفَنا بالمدينةِ ما سَلَكْنا شِعْبًا ولا وَادِيًا إلَّا وهم معَنا، حبسهم العُذْرُ**»(٢).

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٥٣)، عن أبي هُرَيْرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٣.

QaradawiBooks.com

وروى النَّسائي وابن ماجه عن أبي الدَّرداءِ يبلغُ به النَّبيَّ ﷺ: «**من أتى فراشَه وهو ينوي أن يقوم يصلِّي من الليل، فغلبته عيناه حتَّى أصبح، كُتِبَ له ما نوى، وكان صدقةً عليه من ربِّه**»(١).

وفي «صحيح مسلم» أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ سأل اللهَ الشَّهادةَ بصدق، بلَّغه اللهُ منازلَ الشُّهداءِ، وإن مات على فراشِه**»(٢).

وقال أيضًا: «**من طلب الشَّهادةَ صادقًا، أُعْطِيَها، ولو لم تُصِبْه**»(٣)، والحديثان يؤكِّدان وصفًا أو شرطًا لا بدَّ منه، لمن يحصل على «الشَّهادة» وهو على فراشه، لم يُقْتَل ولم يُصَب، وهو أن يكون سؤاله للشهادة «بصدق»، أن يطلبها «صادقًا»، فما كلُّ من يسأل الشَّهادة بلسانه، يكون صادقًا في أعماقه، فالمدار على السرائر، والله أعلم بها.

وقد يتقرَّب المخلص إلى ربِّه بعملٍ فيخطئ في تأديته، ويضعُه في غير موضعه، فتأتي نيَّته الصالحة شفيعًا، فتُصحِّح له خطأه، وتُكمِّل له نقصه.

وفي هذا جاء حديث «الصحيحين» في الرجل الذي تصدَّق في ثلاثِ ليال، فصادفت صدقتُه مرَّةً رجلًا سارقًا، ومرةً امرأةً زانية، والثالثة رجلًا غنيًّا، ولكنَّه حمد الله على كلِّ حال، وأراد اللهُ تعالى أن يثبِّت قلبَه، ويشرحَ صدرَه، فأتاه في المنام من يقول له: «**أمَّا صدقتُك على سارقٍ**

(١) رواه النَّسائي في قيام الليل (١٧٨٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٤٤)، وابن خزيمة في الصلاة (١١٧٢)، وابن حِبَّان في قيام الليل (٢٥٨٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده جيد. وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤٥٤).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٠)، عن سهل بن حنيف.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٨)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

فلعلَّه أن يستعفَّ عن سرقته، وأمَّا الزَّانية فلعلَّها أن تستعفَّ عن زناها، وأمَّا الغَنِيَّ فلعلَّه يَعْتَبِرُ فيُنْفِقَ ممَّا أعطاه الله»[(١)]، وتقبل اللهُ صدقتَه ببركةِ نِيَّتِه، ولم يضعْ أثرها في الدُّنيا ولا في الآخرة، وذلك جزاء المخلصين.

النَّصر والكفاية الإلهية:

٦ ـ ومن ثمرات الإخلاص: أنَّ المخلِص مؤيَّد من الله، مكفيٌّ به سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]

وعلى قدر إخلاص المرء لربِّه، وتجرِّده له، يكون مددُ الله تعالى وعونه وكفايته وولايته، إنَّ الإمداد على قدر الاستعداد: إمداد الله بالنصر والتأييد، أو بالتوفيق والتسديد، على حسَب ما في القلوب من تجريد النِّيَّة، وصفاء الطويَّة. يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

ويقول: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه في رسالته الشَّهيرة في القضاء قوله: «فمن خلُصَتْ نِيَّتُه في الحقِّ ولو على نَفْسِه كفاه اللهُ ما بينه وبين النَّاس، ومن تزيَّنَ بما ليس فيه شانه اللهُ»[(٢)].

قال ابن القيِّم في شرح هذه الكلمات في «الإعلام»: «هذا شقيق كلام النُّبوَّة، وهو جدير بأن يخرج من مِشْكَاة المحدَّثِ المُلْهَمِ، وهاتان

(١) سبق تخريجه صـ٢٦.

(٢) رواه البيهقي في الشهادات (٢٥٢/١٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الكلمتان من كنوز العلم، ومن أحسن الإنفاق منهما نفع غيره، وانتفع غاية الانتفاع: فأمَّا الكلمة الأولى، فهي منبع الخير وأصله، والثانية أصل الشَّرِّ وفصله؛ فإنَّ العبد إذا خلُصت نيَّته لله تعالى وكان قصدُه وهمُّه وعمله لوجهه سبحانه كان الله معه؛ فإنَّه سبحانه مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون، ورأس التَّقوى والإحسان خلوصُ النِّيَّة لله في إقامة الحق، والله سبحانه لا غالب له، فمن كان معه فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء؟ فإن كان الله مع العبد فمن يخاف؟ وإن لم يكن معه فمن يرجو؟ وبمن يثق؟ ومن ينصره من بعده؟

فإذا قام العبد بالحقِّ على غيره وعلى نفسه أولًا، وكان قيامُه بالله ولله لم يقُمْ له شيء، ولو كَادَتْه السماواتُ والأرض والجبال لكفاه الله مؤنتَها، وجعل له فَرَجًا ومخرجًا؛ وإنَّما يُؤْتَى العبدُ من تفريطه وتقصيره في هذه الأمور الثلاثة، أو في اثنين منها، أو في واحد؛ فمن كان قيامه في باطلٍ لم يُنصر، وإن نُصِر نصرًا عارضًا فلا عاقبةَ له، وهو مذمومٌ مخذول.

وإن قام في حقٍّ لكن لم يقُم فيه لله، وإنَّما قام لطلب المَحْمَدة والشُّكور والجزاء من الخلق، أو التوصُّل إلى غرضٍ دنيويٍّ، كان هو المقصود أولًا، والقيام في الحقِّ وسيلةٌ إليه، فهذا لم تُضْمَن له النُّصرة؛ فإنَّ الله إنَّما ضمن النُّصرة لمن جاهد في سبيله، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لا لمن كان قيامه لنفسه ولهواه، فإنَّه ليس من المتَّقين ولا من المحسنِين، وإن نُصِرَ فبِحَسَب ما معه من الحقِّ؛ فإنَّ اللهَ لا ينصر إلَّا الحقَّ. وإذا كانت الدولة لأهل الباطل، فبحسَب ما معهم من الصبر، والصبر منصورٌ أبدًا؛ فإنْ كان صاحبُه محِقًّا كان منصورًا له العاقبة، وإن كان مُبْطِلًا لم يكن له عاقبة، وإذا قام العبدُ في الحقِّ لله، ولكن قام بنفسه

QaradawiBooks.com

وقُوَّته، ولم يقُمْ بالله مستعينًا به متوكِّلًا عليه، مفوِّضًا إليه، بريًّا من الحَوْل والقوَّة إلَّا به، فله من الخُذْلان وضعف النُّصرة بحَسَب ما قام به من ذلك. ونكتةُ المسألةِ أن تجريد التَّوْحِيدَيْن في أمر الله لا يقوم له شيءٌ البتَّة، وصاحبُه مؤيَّد منصورٌ، ولو توالت عليه زُمَرُ الأعداء.

قال الإمام أحمد: حدَّثنا داود، أنبأنا شعبةُ، عن واقد بن محمد بن زيد، عن ابن أبي مُلَيْكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: «**من أسخط النَّاس برضاءِ الله تعالى كفاه اللهُ النَّاس، ومن أرضى النَّاس بسخط الله وكله إلى النَّاس**»[1].

تأييد الله تعالى ومعونته في الشَّدائد والأزمات:

٧ ـ ومن ثمرات الإخلاص: أنَّ الله تعالى يمدُّ المخلصَ بعَوْنِه، ويحرسه بعَيْنِه التي لا تنام، ولا يتخلَّى عنه إذا حلَّت بساحته الخطوب، وأحاطت به الشَّدائد والكروب، فهو سبحانه يستجيب دعاءه، ويلبِّي نداءه، ويكشف عنه الغمَّة.

ومن عجيب ما ذكره القرآن في ذلك: استجابة الله تعالى دعاء المشركين، إذا جرت بهم الفُلْك في البحر، وهاجت عليهم الرِّيح، وأحاط بهم المَوْج من كلِّ مكان، فيدعون الله في تلك اللحظات بصدق وإخلاص، فيستجيب لهم، وإن غيَّروا بعد ذلك وبدَّلوا، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ

(١) رواه أحمد في الزهد (٩١٠)، وأبو داود في الزهد (٣١٥)، وابن حِبَّان في البر والإحسان (٢٧٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٠). وانظر: إعلام الموقعين (١٢١/٢، ١٢٢).

QaradawiBooks.com

أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

وإنَّما أنجاهم واستجاب لهم؛ لأنَّهم ﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، فقد رجعوا في تلك اللحظة إلى الفطرة، وسقطت الآلهة المزيَّفة، ولم يبقَ لديهم إلَّا اللهُ يدعونه بإخلاص ويتَّجهون إليه.

ومن أبرز الأمثلة والوقائع في أثر الإخلاص في إنقاذ المكروب من كربته: قصة الثلاثة «أصحاب الغار».

فمن رحمة الله تعالى: أنَّ الأرض لا تخلو من المخلِصين، فهم للحياة الرُّوحية كالماء والهواء للحياة الماديَّة، وقد عرف التاريخ نماذج رائعة، تجسِّد الإخلاص في وقائع مضيئة، تضرب المثل، وتُبرز الأسوة للنَّاس يحسُن هنا أن نذكر بعضًا منها، لنتَّخذ منه عظةً وقدوة.

بدأ الحافظ المُنْذِريُّ كتابه «التَّرغيب والتَّرهيب» بالتَّرغيب في الإخلاص والصدق والنيَّة الصالحة، ثمَّ جعل أوَّلَ حديثٍ في كتابه حديث «أصحاب الغار» الذي قصَّ علينا النبيُّ ﷺ قصَّتَهم، لِمَا فيها من عِبْرَةٍ لأولي الألباب.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثةُ نفرٍ**[1] **ممَّن كان قبلكم، حتَّى آواهم المبيتُ إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل، فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنَّه لا يُنْجِيكم من هذه الصخرة إلَّا أن تدعوا اللهَ بصالحِ أعمالِكُم**».

(١) النفر: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة.

QaradawiBooks.com

فقال رجل منهم: اللهمَّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أَغْبِقُ[١] قبلَهما أهلًا ولا مالًا، فنأى[٢] بي طلبُ شَجَرٍ يومًا، فلم أَرُحْ عليهما[٣] حتَّى ناما، فحلبتُ لهما غَبُوقَهُمَا، فوجدتهما نائمَيْن، فكرهتُ أن أَغْبِقُ قبلَهما أهلًا أو مالًا، فلبثتُ والقَدَح على يديَّ، أنتظر استيقاظَهما حتَّى بَرَقَ الفجر ـ زاد بعضُ الرُّواة: والصِّبْيَة يَتَضَاغَوْن[٤] عند قدميَّ ـ فاستيقظا، فشربا غَبُوقَهما، اللهمَّ إن كنتَ فعلتَ ذلك ابتغاءَ وجهك، فَفَرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منها».

قال النبيُّ ﷺ: «**وقال الآخر: اللهمَّ كانت لي ابنةُ عمٍّ كانت أحبَّ النَّاسِ إليَّ، فأردتُها عن نفسِها، فامتنعَتْ مِنِّي، حتَّى ألمَّتْ بها سَنَةٌ[٥] من السِّنِينَ، فجاءتني، فأعطيتُها عشرين ومائة دينار، على أن تُخْلِي بيني وبين نفسِها، ففعلت، حتَّى إذا قدرتُ عليها قالت: لا يحلُّ لك أن تَفُضَّ الخاتم[٦] إلَّا بحقِّه، فتحرَّجتُ من الوقوع عليها، فانصرفتُ عنها، وهي أحبُّ النَّاس إليَّ، وتركتُ الذهب الذي أعطيتُها، اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِكَ، فَافْرُج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنَّهم لا يستطيعون الخروجَ منها».**

---

(١) من الغبوق ـ بفتح الغين ـ وهو الذي يُشرب بالعشي، ومعناه: كنت لا أقدم عليهما في شرب اللبن أهلًا ولا غيرهم.

(٢) نأى بي: من النأى، وهو البعد.

(٣) لم أرح عليهما: من الرواح، وهو الرجوع آخر اليوم، مقابل الغدو.

(٤) يتضاغون: أي يصيحون من الجوع.

(٥) السنة: العام المقحط الذي لم تُنبت الأرض فيه شيئًا.

(٦) تفض الخاتم: كناية عن استباحة الفرج، أي الجماع.

QaradawiBooks.com

قال النبيُّ ﷺ: «**وقال الثالثُ: اللهمَّ إنِّي استأجرتُ أُجَراء وأعطيتُهم أُجْرَتَهم غيرَ رجلٍ واحدٍ ترك الذي له وذهب، فثمَّرتُ أجرَه حتَّى كثُرت منه الأموال، فجاءني بعدَ حين، فقال لي: يا عبدَ الله، أدِّ إليَّ أجري! فقلتُ: كلُّ ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرَّقيق. فقال: يا عبدَ الله، لا تستهزئْ بي! فقلتُ: إنِّي لا أستهزئُ بك. فأخذه كله، فساقه: فلم يتركْ منه شيئًا، اللهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فَافْرُج عنَّا ما نحن فيه! فانفرجت الصخرةُ، فخرجوا يمشون**»[(١)].

خلاص المجتمعات واستقامة الحياة:

ولا يفوتنا أن نذكر بما نبهنا عليه من قبل: أنَّ ثمرة الإخلاص ليست مقصورة على الآخرة، بمعنى أنَّنا لا نطلب الإخلاص لتكون أعمالنا مقبولة عند الله، ونفوز في الآخرة بالجنة، ونزحزح عن النار فحسب، فهناك فوق هذا: أنَّ الإخلاص مطلوب لكي تستقيم الأمور في هذه الدنيا، ويصح الصحيح، ويحق الحق، ويبطل الباطل، ويسود الخير، ويقوم العدل، ويزول الظلم والظلام، وتتخلص المجتمعات من آثار الفساد.

إنَّما تفسد الحياة، وتختل موازينها، إذا اختفى الإخلاص، وبرز النفاق، وعلا صوت المنافقين، وراجت بضاعتهم.

---

(١) دلَّ هذا الحديث الشريف على أنَّ التوسل إلى الله بالعمل الصالح من أعظم الوسائل للخلاص من المآزق والأزمات، وهذا ممَّا لا خلاف عليه، ولا يكون العمل صالحًا إلا إذا أُريد به وجه الله تعالى، ولهذا قال كلُّ واحد منهم بعد أن ذكر موقفه الفريد: «**اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرُجْ عنا ما نحن فيه**». وقد كان من أساليب التربية النبوية المؤثرة: ذكر روائع القصص التي تؤخذ منه العظة والعبرة. ومما يجدي في الدعوة والتربية تجميع ما صح من هذه القصص لينتفع بها الدعاة والمربون.
والحديث متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإجارة (٢٢٧٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٤٣).

QaradawiBooks.com

إنَّ هؤلاء لا يبالون ـ في سبيل شهوات أنفسهم ومصالحهم الآنية المادية الدنيوية العاجلة ـ أن يجعلوا الأقزام عمالقة، والشياطين ملائكة، واللصوص أشرف النَّاس، وأن يتَّهموا الشُّرفاء، ويخونوا الأمناء، ويكذبوا على الأبرياء، وأن يجعلوا السراب ماء، والأصدقاء لآلئ، كما رأينا ذلك في بعض الشُّعراء قديمًا، وبعض الصحفيين حديثًا.

إنَّ حب الدنيا، وحب مظاهرها الكاذبة، من المال والجاه والمنصب والزعامة والظهور، هو الذي صنع الفراعنة والجبابرة، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد.

والذي مكَّن لهؤلاء ومهد لهم الأرض، هم المنافقون الذين يتمسحون بأعقابهم، ويبرِّرون كل تصرفاتهم، ويجعلون كلَّ أقوالهم حكمًا ودررًا، وكل أعمالهم بطولات وغررًا.

ولا ينقذ الأمم من الضياع والكساد والفساد إلَّا المخلصون الذين يقومون لله لا للناس، ويعملون للحق لا للهوى، ويجاهدون لإعلاء كلمة الله، لا لإعلاء كلمة فلان أو علان.

إنَّ الخلاص كلَّ الخلاص، لا يتحقَّق إلَّا بالإخلاص.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل التاسع

من بواعث الإخلاص

هناك أمور تعين المسلم السالك طريق الله على إخلاص النِّيَّة والعمل لله تعالى. إنها بواعث نفسية، ودوافع روحية، وعوامل فكرية، وجوانب عملية، إذا توافرت وتوطدت فهي جديرة أن تؤثِّر في عقل السالك وضميره، وتدفعه إلى الأمام في طريق المخلصين، وتساعده على تحرير نفسه، وتنقية دواعيه من الشَّوائب الذاتية والدنيوية.

العلم الراسخ:

١ ـ أول هذه المعينات أو البواعث: أن يعلم علمًا يستيقنه في أعماقه بأهمية الإخلاص وضرورته الدينية، وثمراته في الدُّنيا والآخرة، وأن الله تعالى لا يقبل عملًا إلَّا بإخلاص، مهما تكن صورته، وأنه تعالى مطلع على ما في قلبه، فهو يعلم السر وأخفى، ولا تخفى عليه خافية، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]

ولا يتمُّ ذلك إلَّا بأن يقرأ ويكرِّر ما جاء في القرآن والسُّنَّة من ذلك، وما جاء في كلام الصالحين، ويستيقن من خطر الرِّياء، وحب الجاه والشُّهرة، وحب الدُّنيا..

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وتأكد هذه المعارف في النَّفس ورسوخها يعينها على أن تتخلص من أهوائها الذاتية، ومن شهواتها الدنيوية.

فإنَّ مقام «الإخلاص» كغيره من المقامات أو الأخلاق الربانية مركَّبٌ مكون من ثلاثة عناصر:

١ ـ عنصرٌ معرفي إدراكي.

٢ ـ وعنصرٌ وجداني انفعالي.

٣ ـ وعنصرٌ عملي إرادي.

وهو ما يعبر عنه الإمام الغزالي في «الإحيـــاء» عادة بأنَّه معجون مركب من: علم، وحال، وعمل.

ولا ريب أنَّ أول هذه العناصر هو العلم والمعرفة. فالعلم هو الذي يسبق في الوجود، ولا يمكن أن يتوجه الإنســـان إلى شيء لا يدركه ولا يعلمه بوجه من الوجوه.

إنَّما يأتي التوجه الوجداني ـ المحبـــة والرغبة، أو البغض والرهبة ـ نتيجة للمعرفة والإدراك.

وكلَّما قويت المعرفة، ورســـخ العلم، حتَّى وصل إلى درجة اليقين، كان تأثيره في الوجدان أقوى وأعمق، فالمرء يعـــرف أولًا، فيتأثر ثانيًا، فيتحرك ثالثًا.

وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]

كان العطـــف هنا بحرف «الفـــاء» للدلالة على الترتيـــب والتعقيب، فهؤلاء الذين أوتوا العلم يعلمون أن القرآن هو الحق من عند الله، فيترتب

QaradawiBooks.com

على هذا العلم الإيمان بـــه، ويترتب على هذا الإيمـــان: حركة قلوبهم بالإخبات والخشوع لله تعالى.

صحبة أهل الإخلاص:

٢ ـ وممَّا يعين على الإخلاص: صحبة أهل الإخلاص ومعايشـــتهم، والحياة في رحابهم، ليتأسى بهم، ويأخذ عنهم، ويتخلق بأخلاقهم، فإن التأسي بهم صلاح، والتشبه بهم فلاح.

وقد صوَّر النبي ﷺ أثر الصحبة والمجالسة في الصاحب والمجلس تصويرًا بليغًا معبرًا، فقال: «**إنَّما مثل الجليس الصالح والجليس الســـوء، كمثل حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المســـك إما أن يحذيك** «أي **يعطيك**» **وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**»[(١)].

ومن رحمة الله بالنَّـــاس: أنَّ الأرض لا تخلو من هـــؤلاء، فليجتهد سالك طريق الآخرة في البحث عنهم، والاقتباس منهم، فهم كما جاء في «الصحيح»: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»[(٢)].

لقد نوَّه الحكماء والشعراء والأدباء بالصحبة والأصحاب. وقال في ذلك الشَّاعر:

عن المَرْءِ لا تسألْ، وسلْ عن قَرِينِه؟ فكلُّ قريـــنٍ بالمُقَـــارِنِ يَقْتَدِي[(٣)]

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١٠١)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٨)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٤٠٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٩) عن أبي هُرَيْرة.

(٣) من شعر طَرَفة بن العبد، كما في ديوانه صـ ٣٢، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

لا ريب أنَّ من أعظم البواعث على الإخلاص: صحبة المخلصين، الذين نذروا حياتهم لله، وباعوا أنفسهم وأموالهم لله، هؤلاء الذين يجالسونك في الله، ويحبُّونك في الله، وتحبهم في الله... ليسوا من الذين يقبلون عليك، ويلتفون بك، إذا أقبلت عليك الدنيا، ويعرضون عنك إذا أدبرت عنك الدنيا، فهم ذباب طمع، وفراش نار.

هؤلاء الذين أمر الله رسوله الكريم أن يصبر نفسه معهم، ولا تعدو عيناه عنهم، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

إنَّ الذي يصحب هؤلاء يتأثر بهم، ويأخذ عنهم، ويقتبس منهم فضائلهم، بالأسوة الحسنة، وبالحال المؤثِّرة، ولهذا قال السلف: «حال رجل في ألف رجل، أبلغ من مقال ألف رجل في رجل». يعنون بحاله: سلوكه وخلقه وعمله.

وقد جاء عن سلمان رضي الله عنه: «مثل الأخوين المؤمنين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط إلَّا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا»[1].

المهم ألا تعيش وحدك، ولا تخلد إلى صومعة العزلة، وحياة الرهبنة، فلا رهبانيَّة في الإسلام، والمؤمن الذي يخالط النَّاس ويصبر على أذاهم، خير من الذي لا يخالط النَّاس ولا يصبر على أذاهم، والخير

(١) رواه ابن وهب في جامعه (٢٠١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٨٨).

QaradawiBooks.com

والرحمة مع الجماعة، والهلاك والضياع مع الانفراد والشذوذ عن الجماعة. ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار، والشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، وإنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فهي مع القطيع محمية به، محروسة ببركة التجمع، وهي إذا شردت عنه التهمها الذئب منفردة، والشيطان هو ذئب الإنسان. والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، والجماعة قوَّة على الطَّاعة، وعون على الحماية من المعصية.

فتعرَّف على إخوانك في الله، وضع يدك في أيديهم، وتعلم منهم وعلمهم، وتعاون معهم على البر والتَّقوى، وتواصَ معهم بالحق والصبر، تعرف عليهم في المساجد، وفي مجالس الخير، وفي حلقات العلم، وفي ميادين الدَّعوة، ولا تخلو الأرض ـ إن شاء الله ـ منهم.

قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

فأوص غيرك بالحق، وتقبَّل الوصية من غيرك به، وليس هناك مؤمن أصغر من أن يُوصي، ولا أكبر من أن يوصَى. وهذا معنى التواصي، الذي يقتضي التفاعل من الجانبين، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]. وفي الحديث: «**المؤمن مرآة المؤمن**»[(١)].

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٨)، وابن وهب في جامعه (٢٣٧)، والبزَّار (٨١٠٩)، وحسن إسناده الحافظ في بلوغ المرام (٣٠٩/١)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٩٢٦)، عن أبي هُرَيْرة.

QaradawiBooks.com

قراءة سِيَر المخلصين:

٣ ـ وممَّا يعين على الإخلاص، ويبعث عليه: قراءة سير المخلصين، والتعرُّف على حياتهم، للتأثر بهم، والاهتداء بهداهم، فإذا لم يستطع السالك إلى الله أن يجد المخلصين الأحياء ليصاحبهم، فلا أقل من أن يصحب المخلصين الأموات، فإن الأخلاق كالأفكار لا تموت بموت أصحابها.

فهذه القراءة لون من الصحبة والمعايشة، ولكنها صحبة فكرية ونفسية، ومعايشة روحية وإيمانية.

ومن فضل الله تعالى: أن في تراثنا كثيرًا من «النماذج المخلصة» التي لا يملك من قرأها إلَّا أن يتأثر بها.

من هذه النماذج نموذج الثلاثة «أصحاب الغار» الذين قصَّ علينا قصتهم رسول الله ﷺ. حين أطبقت عليهم الصخرة، فلم ينجهم منها إلَّا أعمال صالحة كانوا قدموها خالصة لوجه الله تعالى، فتوسَّلوا إلى الله بها، وقال كلُّ واحد منهم: «**اللهمَّ إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافْرُجْ عنا ما نحن فيه**». ففرَج الله عنهم، وأخرجهم من ورطتهم بسبب إخلاصهم. وقد مر بنا هذا النموذج مفصلًا فليرجع إليه.

ومن هذه النماذج ما جاء في الحديث الذي رواه النَّسائي في «سننه» عن شدَّاد بن الهاد رضي الله عنه: أنَّ رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثمَّ قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه.

فلمَّا كانت غزاته غنم النبي ﷺ فقسم وقَسَمَ له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلمَّا جاء دفعوه إليه؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قَسَمْتُه لك**».

QaradawiBooks.com

قال: ما على هـذا اتبعتك، ولكن اتبعتك علـى أن أُرمى إلى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم، فأموت، فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**».

فلبثوا قليلًا: ثمَّ نهضوا إلى قتال العدو، فَأُتِيَ به إلى النبي ﷺ يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**». قالوا: نعم. قال: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**».

ثم كفَّنه النبي ﷺ في جبته التي عليه، ثمَّ قدمه فصلَّى عليه، وكان بما ظهر من صلاتـه: «**اللهمَّ هذا عبـدك، خرج مهاجرًا في سـبيلك، فقتل شهيدًا، أنا شهيد على ذلك**»[1].

ومن ذلك: ما حفل به التاريخ الإسـلامي من روائع البطولات، ووقائع المخلصين الذين نذروا أنفسهم لله، وجعلوا حياتهم كلها لله، وجهادهم كله لله، فلم يشركوا به أحدًا.

من هؤلاء: ما كتبه الإمام حسن البنا رضي الله عنه في أحد أحاديث الجمعة في جريدة «الإخوان المسلمون» اليومية عن «صاحب النقب»، وتتلخَّص قصّته في أنَّ المسـلمين في إحدى معاركهم وقفوا أمام حصن منيع من حصون عدوهم، وطال حصارهم لهـذا الحصن، ثمَّ فكَّر أحد الجنود في فتح ثُغرة أو نقب في جدار الحصن، يتسلل منه، ويفتح الباب للمقاتلين المسلمين.

فعل ذلك الجندي المسـلم، ونقب النقب وحده في هدوء وصمت، ممَّا مكن المسلمين من تحقيق النصر المنشود بأقل التضحيات.

---

(١) رواه النَّسائي في الجنائز (١٩٥٣)، والطبراني (٢٧١/٧)، والحاكم في معرفة الصحابة (٥٩٦/٣)، وسكت عنه هو والذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح النَّسائي (١٨٤٥)، عن شداد بن الهاد.

QaradawiBooks.com

المهم أنَّ قائد المعركة بحث عن «صاحب النقب»، الذي كان وراء هـذا النصر، ولم يتقدم أحد يقـول: أنا هو. فخطب فـي جنوده قائلًا: أقسمتُ بالله على من نقب النقب أو عرف صاحبه إلَّا دلَّني عليه.

وبينما القائد في خيمته دخل عليه رجل، وقال له: هل تريد أن تعرف صاحب النقب؟ قال: نعم والله.

قال: أنا أدلُّك عليه، ولكن له شروطًا يطلبها. قال: له كل ما يشترط، فما شـروطه رحمك الله؟ قال: ألا تسأله عن اسـمه، ولا تعلن عنه في النَّاس أو إلى الخليفة، ولا تكافئه على عملـه. قال: له ذلك، فأين هو؟ قال: أنا هو! فقام القائد وعانقه.

فطالبه بالوفاء بالشـرط، فلم يملك القائد إلَّا الاستجابة، وذاب هذا الجندي المجهول في المحيط الكبير، فلم يره أحد بعد ذلك.

فكان القائد يدعو الله أن يحشـره مع صاحب النقب، وأن ينصر دينه به، وبأمثاله من أهل الإيمان والإخلاص: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٢].

المجاهدة للنفس:

٤ ـ ومن المعينـات على الإخلاص: المجاهـدة. ونعني بالمجاهدة توجيه الإرادة إلى جهاد النَّفس الأمارة بالسـوء، ومقاومة رغباتها الذاتية والدنيوية، حتَّى تخلص لله تعالى.

ولا يستطيع أحد أن يسلك طريق القوم، وهو مستسلم لأهواء نفسه، وحبها للجاه والظهور، وطموحها إلى الشُّهرة والثَّنَاء، أو للثَّرْوة والمال،

QaradawiBooks.com

أو لغير ذلك من شـــهوات النفس، وزخارف الدنيا. وإنَّما يسلك الطَّريق من اصطحب معه إرادة قويـــة، وتصميمًا على المجاهدة، و«الإرادة» هي الأساس، و«المجاهدة» هي المحور.

وإن أخطر شيء على سالك الطَّريق هو اليأس من الانتصار في هذه المعركة، وإلقاء الســـلاح اعترافًا بالهزيمة النفســـية، أو إقرارًا بالعجز أو باستحال الوصول.

وقد كان بعض الحكماء يكره من أصحابه وتلاميذه كلمات ثلاثًا؛ هي: لا أقدر، لا أعرف، مستحيل.

فأمَّا من قال له: لا أقدر، فيقول له: حاول.

وأمَّا من قال له: لا أعرف، فيقول له: تعلم.

وأمَّا من قال له: مستحيل، فيقول له: جرب.

ولا شـــكَّ أن في مجاهدة النَّفس صعوبة ومعاناة ومشقة، يجدها من يريد طريق الآخرة، وخصوصًا في أول الأمر، ولكن بالاجتهاد والمحاولة والتكرار والصبر، والاستعانة بالله تعالى، يسهل الصعب، ويتيسر العسير.

وهذه سُنَّة الله في خلقه: أنَّ من جدَّ وجد، ومن زرع حصد، ومن سار على الدرب وصل، وهذا وعد الله سبحانه لمن جاهد فيه: أن يهديه سبيله وينير له طريقه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وهذه الآية مكيـــة، أي أنَّها نزلت قبل أن يشـــرع الجهـــاد بالمعنى العسكري، فهي أحقُّ بأن تكون في ألوان الجهاد الأخرى، وفي مقدمتها: جهاد النفس، وهو أوَّل مراتب الجهاد وأولاها.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث الشَّـريف: «**المجاهد من جاهد نفسه لله**» أو قال: «**في الله** ﷻ»[(١)].

الدعاء والاستعانة بالله:

٥ ـ وممَّا يقوِّي ذلك كلَّه ويشـدُّ عضد سالك الطَّريق إلى الله: أن يستعين بالله تعالى على أمره كلِّه، فمنه وحده العون، وبه التوفيق، وإليه يرجع الأمر كله. وقد علمنا الله تعالى أن نقول في صلواتنا أبدًا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

فهذه هي حقيقة التوحيـد: إفراد الله تعالى بالعبادة والاستعانة، فلا عبادة إلَّا له، ولا استعانة إلَّا به تعالى، وفي «الصحيح»: «**استعن بالله ولا تعجز**»[(٢)].

والدعاء سلاح المؤمن، وسبب من الأسباب الروحية التي شرعها الله للإنسان ليُحقِّق مطالبه، ويَسُدَّ حاجاته.

وعندما تعجز وسائل الإنسان المادية، أو تضعف قدرته، أو تهن إرادته، فليس أمامه إلَّا باب الله الكريم، يطرقه بالدعاء، ويسأله من فضله، وهو أهل الإجابة، وقد مرَّ بنا الحديث الذي عمله لنا رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**»[(٣)].

* * *

(١) رواه أحمد (٢٣٩٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٢١)، وقال: حسن صحيح. وابن حِبَّان في السير (٤٧٠٦)، عن فضالة بن عبيد.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هُرَيْرة.

(٣) سبق تخريجه صـ٧.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	١٤، ١٣٩
سورة البقرة		
﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾	٢٤٩	١٥
﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾	٢٦٣	٩٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَٰتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ ﴾	٢٦٤	٥٣، ٩٧
﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾	٢٦٥	٢١، ٤٩
﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ﴾	٢٧١	١٠٤
﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾	٢٧٢	٢١
﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾	٢٧٣	١٠٤
﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾	٢٧٤	١٠٤
سورة آل عمران		
﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى ۖ ﴾	٣٥	١١١
﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾	١٢٦	٩٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾	١٤٥	١٩
﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ﴾	١٥٢	١٩، ٢١
سورة النساء		
﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾	٣٥	١١٠
﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	٣٨	٥٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾	٤٠	٧٠
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾	٤٩	٩٩
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ ﴾	٧٦	٤٨
﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴾	١٠٠	١٢١
﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾	١١٤	٢١، ٤٩
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾	١٢٥	٣٧، ٤٧
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾	١٤٢	٥٣، ٧٦
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾	١٤٥، ١٤٦	٤٤
سورة المائدة		
﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ ﴾	١٨	٩٩
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧	٦٢، ٨٥، ٩٧
﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾	٥٤	١٠٩
سورة الأنعام		
﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾	٥٢	٢٠
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٢، ١٦٣	٤، ١٥، ٤٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	١٨١	١٣٤
سورة الأنفال		
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾	٤٧	٥٣، ٧٦
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٢	١٣٧
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾	٧٠	١٢٣
سورة التوبة		
﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ ﴾	٢٥، ٢٦	٩٨
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ ﴾	٥٨	٩٣
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	٧١	١٣٤
﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ ﴾	٩٢	٢٣
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا ﴾	١٠٧، ١٠٨	٤٠
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ ﴾	١٢٠، ١٢١	١٢٠
سورة يونس		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾	٢٢، ٢٣	١٢٥
﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	٥٨	١٠٢
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾	٦٣	٥٦
سورة هود		
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا ﴾	١٥، ١٦	٢٠، ٥٤
﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾	٨٨	٩٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾	٢٢	٤٩
سورة إبراهيم		
﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾	٣٨	١٣٠
سورة النحل		
﴿ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾	٦٦	٦٤
سورة الإسراء		
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾	١٨، ١٩	٢٠
سورة الكهف		
﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾	١٧	٩٨
﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾	٢٨	٤٩، ١١٢، ١٣٣
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	١٠٣، ١٠٤	٦٨
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾	١١٠	٨، ٣٨، ٤٧، ٧٢، ٧٤، ٧٧
سورة مريم		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾	٩٦	١٠٩
سورة الحج		
﴿ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾	٣٢	٨٥
﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾	٣٧	١٧
﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ ﴾	٥٤	١٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾	٦٠	٨٦
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾	٦١	٨٦
سورة الفرقان		
﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾	٢٣	١٥
سورة النمل		
﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾	١٩	٨
سورة القصص		
﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٨٨	١٢٠
سورة العنكبوت		
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٦٩	١٣٨
سورة الروم		
﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾	٣٩	٢٠
سورة لقمان		
﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ﴾	٢٢	٩، ٣٧
سورة الأحزاب		
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ ﴾	٢١	١٠٣
سورة فاطر		
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾	١٠	٩٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة ص		
﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾	٨٣	٤٦، ٦٩
سورة الزمر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	٢، ٣	٤، ٤٧
﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۞ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾	١٤، ١٥	٤٧
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾	٢٩	١١٥
﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾	٣٦	١٢٣
﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ ﴾	٤٧، ٤٨	٦٨
سورة الشورى		
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾	٢٠	٢٠
سورة الفتح		
﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	١٨	١٢٣
سورة النجم		
﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ ﴾	٣٢	٩٩
سورة نوح		
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾	٥ ـ ٧	٩٣
سورة القيامة		
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	٢٢، ٢٣	٢١
سورة الإنسان		
﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾	٥ ـ ١٠	٤٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الليل		
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۞ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ ﴾	١٧ ـ ٢٠	٢٠
سورة الضحى		
﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	١١	٩٩
سورة البينة		
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾	٥	٤، ٤٧
سورة الزلزلة		
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾	٧، ٨	٧٠
سورة العصر		
﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾	١ ـ ٣	١٣٤
سورة الماعون		
﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾	٤ ـ ٧	٥٣، ٧٦

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أتْبِـع السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها	٧١
اجتنبُوا هذه القاذورات الَّتي نهى الله عنها	١٠٥
الإخلاص سِرٌّ من سِرِّى، استودعتُه قلبَ مَنْ أحببتُ من عبادي	٦٠
أدنى الرِّياءِ شِرْكٌ	٧٣
إذا أحبَّ اللهُ عبدًا نادى جبريلَ، فقال: إنَّ الله قد أحبَّ فلانًا، فأحبَّه!	١٠٩
إذا قال الرجل: هلك النَّاس، فهو أهلكهم	١٠٠
أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه وزر؟ كذلك إذا وضعها في حلالٍ	٣٦
استعن بالله ولا تعجز	١٣٩
ألا أخبركم بأفضلَ من درجةِ الصيام والصلاة والصدقة؟	٩٦
اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه	٧، ٥٨، ١٠٥، ١٣٩
اللهمَّ إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافْرُجْ عنا ما نحن فيه	١٢٨، ١٣٥
اللهمَّ إني أسألُك حبَّكَ، وحبَّ من يُحِبَّك	١٠٩
اللهمَّ هذا عبدك، خرج مهاجرًا في سبيلك، فقتل شهيدًا	١٣٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أمينُ هذه الأُمَّة	٩٠
إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشَّركُ الأصغر	٥٧
إنَّ أقوامًا خَلْفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلَّا وهم معنا	٢٣، ١٢١
إنَّ الله عفا عن أُمَّتي ما حدَّثت بها أنفسُها، ما لم تعمل به، أو تتكلَّم به	٢٧
إنَّ الله عفا لأُمَّتي عن الخطأ والنِّسْيان وما استكرهوا عليه	٢٩
إن الله لا يمحو السيِّئ بالسيِّئ، ولكن يمحو السيِّئ بالحسن	٣٦
إنَّ الله لا ينظرُ إلى أجسادكم وصُوَركم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبكم	٥، ١٦، ٢٤
إنَّ الله يحبُّ الأبرارَ الأتقياء الأخفياء الَّذين إن غابوا لم يُفتَقَدوا	٨٧
إن الله يُحِبُّ أن يرى أثَرَ نِعْمَتِه على عبده	٣٥
إنَّ أوَّل النَّاسِ يُقضى يومَ القيامة عليه: رجلٌ استُشهد، فأُتِيَ به	٥٤
إن تصدق الله يصدقك	١٣٦
إنَّ الغُزاة إذا غنموا غنيمة، تعجَّلوا ثلثَيْ أجرَهم	٧٧
إنَّ من أُمَّتي مَن لو أتى أحدُكم يسأله دينارًا لم يعطِه إيَّاه	٥١
أنا أغنى الأغنياء عن الشِّرْكة، من عمل لي عملًا، فأشرك معي غيري	٧٣
أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرْكة	٦٦، ٧٣
أنت منِّي بمنزلةِ هارون من موسى	٩٠
انطلق ثلاثةُ نفرٍ ممَّن كان قبلكم، حتَّى آواهم المبيتُ إلى غار	١٢٦، ١٢٧، ١٢٨
إنَّك ما تُنفِقُ نفقةً تبغي بها وجهَ الله تعالى إلَّا أُثِبْتَ عليها	٣٥، ١٢٠
إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى	٥، ٢٢، ٢٩، ٣٤، ٣٧، ٤١، ٤٣، ٧٥، ١١١
إنَّما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل حامل المسك	١٣٢

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّما يُبعَث النَّاسُ على نيَّاتهم	٢٣، ٤١
إنَّما ينصر الله هذه الأُمَّة بضعيفها: بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم	١١٢
إنَّه رجلٌ تستحي منه الملائكة	٨٩
أَهُوَ هُوَ؟. قالوا: نعم. قال: صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ	١٣٦
أوثقُ عُرا الإيمانِ: الحبُّ في الله والبُغْضُ في الله	١٠٣
أوثقُ عُرا الإيمان: الموالاةُ في الله، والمعاداةُ في الله	٥٠
الإيمانُ بضعٌ وستُّون شُعْبة، والحياءُ شُعْبة من الإيمان	١٠٧
أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا	٣٦
ب	
بحسْبِ امرئٍ من الشَّرِّ أن يَحْقِر أخاه المُسْلِمَ	١٠٠
بشِّر هذه الأُمَّة بالتيسير والسَّناء، والرِّفْعةِ بالدِّين، والتَّمْكينِ في البلاد	٥٥
ت	
تَعِسَ عبدُ الدِّينار، وعبدُ الدِّرْهم، وعبدُ الخَمِيصة	٩١، ١١٤، ١١٦
تلك عاجل بشرى المؤمن	٨٤
ث	
ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أَحَبَّ إليه	٥٠، ١٠٣
ثلاثٌ مهلِكاتٌ، وثلاث مُنْجِيَاتٌ؛ فأمَّا المُهلِكات، فشُحٌّ مُطاعٌ	٩٨
ثلاث أُقسِمُ عليهنَّ وأُحدِّثكم حديثًا فاحفظوه. قال: ما نقص مال عبدٍ	٢٤، ٢٨
الحياءُ لا يأتي إلَّا بخيرٍ	١٠٧
الخيلُ ثلاثة: فرسٌ للرحمن، وفرسٌ للشَّيْطان، وفرسٌ للإنسان	٣٠، ٣١
الخيل ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر	٣١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
د	
دعْه؛ فإنَّ الحياءَ من الإيمانِ	١٠٧
ذ	
ذاك اللهُ تعالى	١٠٨
ر	
رُبَّ أشعثَ مدفوعٌ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه. وفي رواية الحاكم	٥١، ١١٢
رجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها، حتَّى لا تعلمَ شمالُه ما أنفقت يمينُه	١٠٤
الرجلُ يعمل العمل لله، فيحبُّه النَّاس عليه	٨٥
س	
سيفٌ من سيوف الله	٩٠
ف	
فأنا منه بريءٌ، وهو للذي أشرك	٥٧
فرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان	٣٠
ق	
قال الله تعالى: إذا تحدَّث عبدي بأن يعمل حسنة، فأنا أكتبها له حسنةً	٢٥
قال الله تعالى: أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّرك	٥٧
قال الله تعالى: حقَّت محبَّتي للمتحابِّين فيَّ، وحقَّت محبَّتي للمتواصلين	٥٠
قال رجل: لأتصدَّقنَّ الليلةَ بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق	٢٥، ١٢٢
قَسَمْتُه لك	١٣٥

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ك	
كلُّ أُمَّتي معافًى إلَّا المجاهرين	١٠٦
كلُّهم	٧٩
ل	
لا تسألِ الإمارة؛ فإنَّك إن أُعْطِيتَها بغيرِ سؤالٍ أُعِنْتَ عليها	٩١
لا شيءَ له. فأعادها ثلاث مرَّات، يقول له رسول الله ﷺ: لا شيءَ له	٥، ٢٢، ٧٦
لا يا ابنةَ الصِّدِّيق، ولكنَّهم الذين يُصَلُّون ويصومون ويتصدَّقون	٨٦
لا يقبلُ اللهُ عملًا فيه مثقال حبَّةِ خَرْدَلٍ من رياء	٧٧
لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه	١٠٥
لقد تركتم بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم مسيرًا، ولا أنفقتم من نفقةٍ	٢٣
لك ما نويتَ يا يزيد، ولك ما أخذتَ يا مَعْن	٢٥
لمَّا خلق اللهُ الأرضَ جعلتْ تميدُ، فخلق الجبال، فألقاها عليها	١١٧
لن يُدخل أحدَكم الجنَّةَ عملُه. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟	٦٣
له أجران: أجر السِّرِّ، وأجر العلانية	٨٥
لو سلكتَ فجًّا لسَلَكَ الشَّيطان فجًّا آخر	٨٩
لو كنتُ متَّخِذًا خليلًا، لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا، ولكنْ أخي وصاحبي	٨٩
م	
ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ	٥٩
ما رأيك في هذا؟. قال: رجل من أشراف النَّاس	٥١
ما مِن عبدٍ يقوم في الدُّنيا مَقَامَ سُمْعة ورياء	٥٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما من مسلمٍ يموتُ يشهد له أهلُ أربعةِ أبياتٍ من جيرانه الأدنَيْنِ	١٠٧
المجاهد مـن جاهـد نفسه لله أو قال: في الله ﷻ	١٣٩
من أتى فراشَه وهو ينوي أن يقوم يصلِّي من الليل	١٢٢
مَنْ أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمانَ	٥٠
من احْتَبَس فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعده	١٢١
من أسخط النَّاس برضاءِ الله تعالى كفاه اللهُ النَّاس	١٢٥
من بنى مسجدًا يبتغي به وجهَ اللهِ بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّة	٣٩
من جعل الهموم همًّا واحدًا، كفاه الله همَّ دُنياه	١١٦
مَنْ سأل اللهَ الشَّهادةَ بصدق، بلَّغه اللهُ منازلَ الشُّهداءِ، وإن مات على فراشِه	١٢٢
من سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائى يُرَائي اللهُ به	٥٥
مَنْ سنَّ سُنَّةً حسنة، فله أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة	٩٩، ١٠٣
من طلب الشَّهادةَ صادقًا، أُعْطِيَها، ولو لم تُصِبْه	١٢٢
من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب	٥٦
من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا، فهو ردٌّ	٣٧
من قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، فهو في سبيل الله	٤٠، ٧٣
من كانت الدُّنيا همَّه، فرَّق اللهُ عليه أمرَه، وجعل فَقْره بين عَيْنَيْه	١١٦
من هاجر يبتغي شيئًا من الدُّنيا، فهو له	٧٣
المؤمن مرآة المؤمن	١٣٤
هـ	
هم القوم لا يشقى بهم جليسهم	١٣٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
و	
واللهِ لو وضعوا الشَّمسَ في يميني، والقمرَ في شمالي	١١٩
وجبت، وأخرى أثْنَوا عليها شرًّا، فقال: وجبت	١٠٧
وفي بُضْع أحدِكم صدقة	٣٥
ي	
يؤتى يومَ القيامةِ بصُحُفٍ مُخَتَّمة، فتُنْصَبُ بين يَدَيِ الله تعالى	٥٧
يا أيُّها النَّاس، إيَّاكم وشِرْكَ السرائر	٥٦
يخرجُ في آخرِ الزَّمَانِ رجالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنيا بالدِّين	١١٣
اليسيرُ من الرِّياء شِرْك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز اللهَ بالمحاربة	٥٦، ٧٣
يغزو جيشٌ الكعبة، فإذا كانوا ببَيْدَاءَ من الأرض يُخْسَفُ بأوَّلهم	٢٣
يقال لمن أشرك في عمله: خذْ أجرَكَ ممَّن عملتَ له	٧٣
يقول الله تعالى: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه	٢٤

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوَّة الخاتمة ٥

• مقدمة ٧

• النِّيَّة والإخلاص ١١

❖ الفصل الأول: معنى الإخلاص وضرورته للسَّالكين إلى الله ١٣

الإخلاص من ثمرات التوحيد الخالص ١٤

ضرورة الإخلاص للسالكين ١٥

الإخلاص مطلوبٌ لصلاح الحياة ١٧

❖ الفصل الثاني: أهمية النِّيَّة في تحقيق الإخلاص ١٩

استحضار النِّيَّة وتجريدها لله ١٩

أهمية النِّيَّة في القرآن الكريم ١٩

أهمية النِّيَّة في السُّنَّة ٢٢

حقيقة النيَّة ٢٦

النيَّة إرادة جازمة ٢٧

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

النيَّة محلُّها القلب ٢٨
الأعمال بمقاصدها ٢٩
تنوُّع جزاء العمل الواحد بتنوُّع نيَّته ٣٠
النيَّة ومقاصد الشَّريعة ٣٢
أثر النِّيَّة في المباحات والعاديات ٣٥
النِّيَّة لا تؤثِّر في الحرام ٣٦
إخلاص النِّيَّة أساس القبول ٣٧
بناء المسجد لغرض فاسد ٣٩
الجهادُ لغرضٍ دنيوي ٤٠
صعوبة تحقيق الإخلاص ٤١
أهمية الإخلاص للدعاة والعلماء ٤٥

❖ **الفصل الثالث: فضل الإخلاص وخطر الرِّياء ٤٧**
فضل النِّيَّة والإخلاص ٤٧
التَّحْذير من الرِّياء ٥٢
القرآن يُحذِّر من الرِّياء والمرائين ٥٢
الأحاديث النبويَّة تُرهِّب من خطر الرِّياء ٥٣

❖ **الفصل الرابع: حقيقة الإخلاص ٦٠**
عناصر مهمَّة في تكوين الإخلاص ٦١
تحقيق الغزالي في بيان معنى الإخلاص ٦٣
كلام الغزالي في حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به ٦٩
كلام ابن رجب حول العمل المَشُوب ٧٥

QaradawiBooks.com

❖ **الفصل الخامس: من دلائل الإخلاص** **٨١**
الخوف من الشُّهرة ٨١
اتهام النفس ٨٥
العمل في صمت بعيدًا عن الأضواء ٨٦
ألَّا يطلب المدح ولا يغترَّ به ٨٧
ألَّا يبخلَ بمدح مَنْ يستحقُّ المَدْح ٨٩
استواء العمل في القيادة والجندية ٩١
الاحتفال برضا الله لا النَّاس ٩٢
جَعْلُ الرِّضا والسّخط لله لا للنَّفس ٩٢
الصبر على طول الطَّريق ٩٣
الفرح بكلِّ ذي كفاءة يبرز ٩٤
الحرص على العمل الأنفع ٩٦
السَّلامة من آفة العُجب ٩٧
الحذر من تزكية النَّفْس ٩٩

❖ **الفصل السادس: الطَّاعة والمعصية بين الكتمان والإظهار** **١٠١**
الطَّاعة بين الكتمان والإظهار ١٠١
كتمان الذُّنوب ١٠٥
حبُّ محبة النَّاس ١٠٩

❖ **الفصل السابع: ضرورة الإخلاص لحَمَلة الدَّعوة** **١١٠**
لماذا كان الإخلاص ضرورة؟ ١١٠
المخلصون هم جند الدعوات ١١٢

غير مرخص للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

خطر الطُّفَيْلِيِّين ١١٣
صنفان متمايزان ١١٤

❖ **الفصل الثامن: من ثمرات الإخلاص ١١٥**
السكينة النفسية ١١٥
القوَّة الرُّوحيَّة ١١٦
الاستمرار في العمل ١١٩
تحويل المباحات والعاديات إلى عبادات ١٢٠
إحراز ثواب العمل وإن لم يتمَّه أو لم يعملْه ١٢١
النَّصر والكفاية الإلهية ١٢٣
تأييد الله تعالى ومعونته في الشَّدائد والأزمات ١٢٥
خلاص المجتمعات واستقامة الحياة ١٢٨

❖ **الفصل التاسع: من بواعث الإخلاص ١٣٠**
العلم الراسخ ١٣٠
صحبة أهل الإخلاص ١٣٢
قراءة سِيَر المخلصين ١٣٥
المجاهدة للنفس ١٣٧
الدعاء والاستعانة بالله ١٣٩

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ١٤٣**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ١٥١**

• **فهرس الموضوعات ١٥٩**

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com